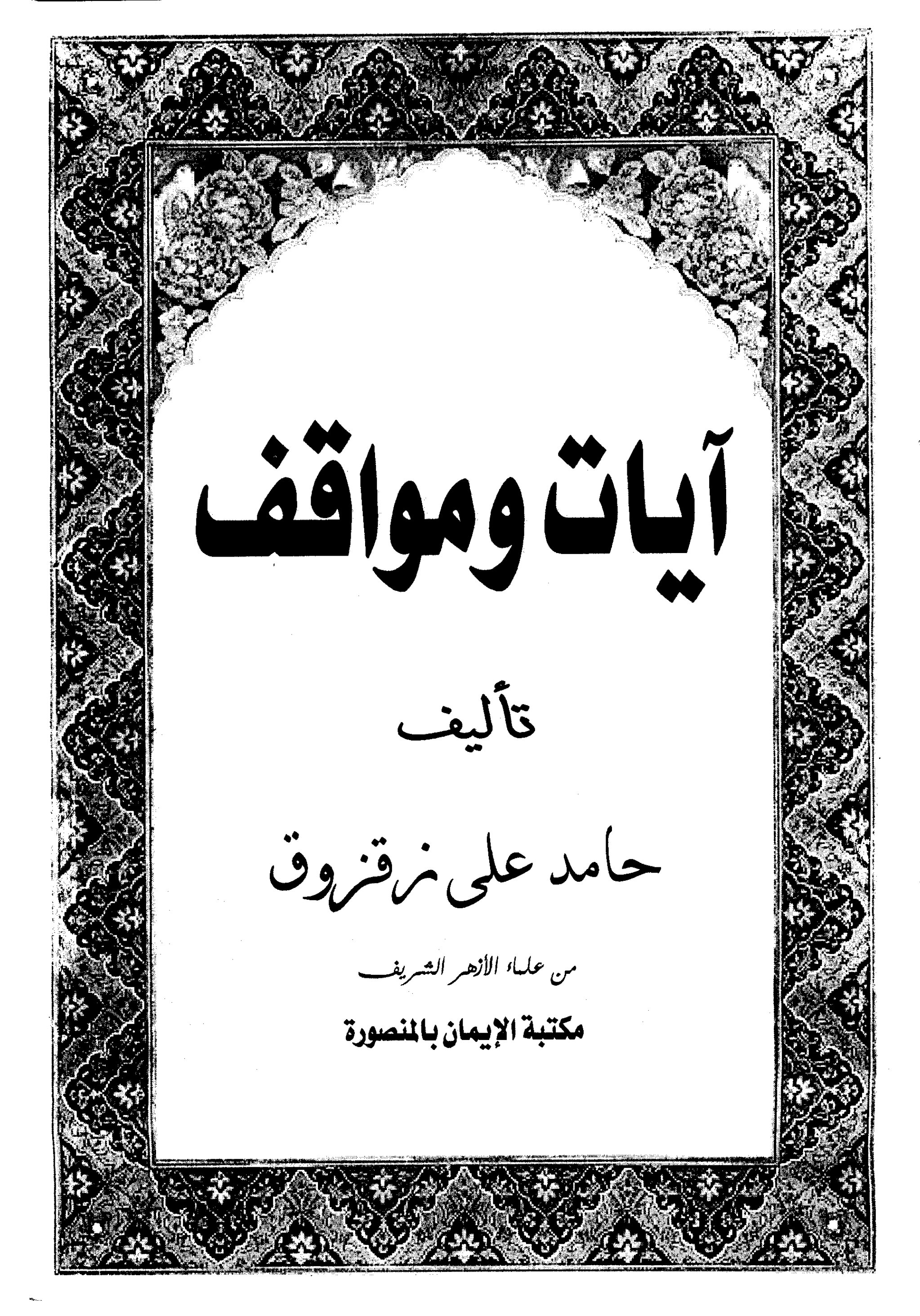


# آيات ومواقف

تأليف

حامد على زرقزوق

من علماء الأزهر الشريف

مكتبة الإيمان بالمنصورة

# مقدمة

حمداً لله على عطائه المتواصل، ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وفضله العظيم علينا .

وبعد : فتلك حلقات لها صلة بكتاب الله تعالى ، ومفسرة لما يحمله من آيات، ومبينة لما اشتمل عليه من عظات ، وآخذة بأيدي من تاهوا في بيداء الحياة ، وكتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم ، فيه الهداية والنور ، والتوجيه الحكيم لمن انحرفوا في حياتهم ، وتأثروا بشياطينهم ، وضلوا سواء السبيل ، وعاشوا في دنياهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، ولذا ستكون عاقبة أمرهم خسرا.

إن هذا الكتاب وهو « **آيات ومواقف** » يشتمل على عدة حلقات ، وهذه الحلقات يعانق بعضها بعضا ، وتحوى كل منها عرضاً غير معقد لما تشتمل عليه من عظات ، وهي حلقات سهلة ميسرة ، وواضحة غير مبهمة ، ونورانية غير مظلمة ، والله أسأل أن تكون قرة أعين للناظرين إليها والقارئين لها ، وأن يشملها الله بنفحات من لدنه ، ويسبغ عليها بعضا من نعمه الظاهرة والباطنة ، ويجعلها محببة إلى القلوب ، سارة للنفوس ، مغذية للعقول ، مضفية البهجة على قرائها ، والانشراح لصدور الناظرين إليها والتنقل بين حلقاتها .

إنها محاولات أرجو من ورائها الخير لكل من عاشوا حيارى في دنياهم الدنية، ويحدوني الأمل في نجاح تلك المحاولات ، لأنها نابعة من القلب ، ولأن الهدف منها هدف نبيل ، وهو العمل على إيقاظ الأفئدة النائمة ، والعقول المعطلة ، والعزائم الخائرة ، وأنا واثق وبعون الله من النجاح في هذا الميدان .

أخي القارئ : تلك هي « **آيات ومواقف** » بين يديك ، والله أسأل أن تنال القبول لديك ،ومن قبل قدمت لك ما جادت به قريحتي من مطبوعات أخرى ، وأنا لا أدعي الكمال فيما أكتب ، إذ الكمال لله وحده دون سواه ، ولا أقول إن ما قدمته بلغ القمة ، لا وألف لا ،ولكن أقول : أنا أنشد بعض الكمال ، والله الموفق ، وهو المستعان به ، وهو على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

**حامد علي زقزوق**

**مدرس أول ثانوي بمعهد المنصورة الأزهري سابقا**

## الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

### أيها الإخوة والأخوات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

ففي رحاب كتاب الله نلتقي ، وحول مائدة القرآن الكريم نجتمع ، وفي كتاب الله آيات ومواقف ، وهذه المواقف إما أن تكون من جانب أهل الإيمان والمعرفة بالله وإما أن تكون من جانب غيرهم من أهل الكفر والعصيان ، فإذا كانت من جانب المؤمنين العارفين بربهم ، فهي مواقف مشرقة مضيئة ، وفيّة نبيلة ، وإذا كانت من جانب أهل الشرك والمعصية ، فهي مواقف خسة وحطة ، وشر وجحود وفي هذه الحلقة التي معنا ، أعرض آية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله سبحانه ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وسنرى موقف كل من الفريقين وسنجد التباين واضحاً بين الطائفتين ، إذ أن أهل الإيمان والمعرفة بالله ، يحمدون ربهم ، ويثنون على خالقهم ، ويشكرون الله الذي غمرهم بنعمه ، وأسدى إليهم فضله وبره ، إنهم يحمدون الله ويشكرونه قَوْلاً وعملاً ؛ فهم في صلواتهم اليومية يقولون ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وهم يتلون تلك الآية الكريمة في كل ركعة حين يقفون بين يدي ربهم طاهرين خاشعين طارحين أمورهم الدنيوية وراء ظهورهم ، مرتدين ثوب الحياء مع خالقهم ، وهم كذلك يقدمون الحمد لله خارج صلاتهم ، ويسخرون أعضاءهم فيما يأمر به الله ويرضى عنه ، ويوجهون جوارحهم إلى طاعة ربهم ، ويبعدونها عن المعاصي والسيئات وينأون بها عن طريق المحرمات ، وهذا هو المظهر العملي لشكر الله ... إن هذا الموقف العظيم وهو موقف الحمد والثناء ، والمدح والشكر ، من جانب المؤمنين بالله نابع من قلوب عامرة بالإيمان ، مشرقة بنور المعرفة بمن خلق وأنعم وهذا الموقف المشرف من جانبهم يعبّر عن سمو خلقهم مع الله ، وعما تحلوا به من مروءة ووفاء ، واستقامة ، ونبل سلوك وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن نحو الله .. والحمد

لربنا واجب علينا ، والشكر لخالقنا جزء من إيماننا ، والوفاء مع الله دليل حي على قوة عقيدتنا .

إنه يجب علينا حمد ربنا ، لأنه سبحانه قد خلقنا في أحسن تقويم بقدرته ، وأوجدنا من العدم بإرادته ، ولم يتركنا في هذه الحياة دون رعاية إنه جل شأنه قد رعانا منذ كنا أجنة في بطون أمهاتنا ، وشملنا بفضله وخيره في كل لحظة من حياتنا ، ونعمه علينا مستمرة لا تنقطع ، وآلاؤه متتابعة لا تتوقف ، وهي كثيرة غزيرة ، ولا تعد ولا تحصى . وتلك هي نعم الله ملموسة لنا ، ماثلة أمام أعيننا، وقد سخرها ربنا لنفعنا ، وأوجدها لمصلحتنا ؛ فالسماء فوقنا فيها نعم خلقها الله لنفع الإنسان ، ففيها شمس وقمر وكواكب ، والأرض التي تحتنا فيها نعم مفيدة لنا ، ففيها كنوز ومعادن ، وزروع وثمار ، والبحار والأنهار الموجودة فيها، زاخرة بثروات مختلفة وهي كذلك لمنفعة الإنسان ،وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [ الجاثية : ١٣] إنها نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] وإنه لفضل عظيم من الله علينا ، ومن أجل هذا الفضل وتلك النعم ، وجب علينا نحو ذلك الخالق المنعم ، أن نحمده كل الحمد على نعمه ، ونشكره سبحانه كل الشكر على هذا الفضل الذي غمرنا به ، ثم إن نتيجة الحمد والشكر لربنا من أعظم النتائج ، ففي الدنيا ازدياد النعم ، واستمرار العطاء ، ودفع البلاء ، وفي الآخرة ثواب جزيل وأجر عظيم وجنة ونعيم ، ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] ، هذا هو الموقف العظيم الذي يمثل الوفاء ، ويجسد حسن السلوك من جانب المؤمنين نحو رب العالمين ، وتلك هي الصورة الوضاءة لأولئك الحامدين الشاكرين ، الذين يعطرون ألسنتهم في صلاتهم وفي غير الصلاة بقولهم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والذين يترجمون بهذا القول عن عمق إيمانهم بربهم ، وقوة عقيدتهم التي أشرقت بها قلوبهم ... إنه الوفاء مع الله وإنه السلوك العظيم مع الخالق ، وإنه النبل والسمو مع المنعم العظيم ، وهكذا نجد موقف المؤمنين مع ربهم ، مبنيا على المعرفة الحقيقية بالله ،

بعيدًا عن الجحود ، متفقا مع ما يجب أن يكون عليه التعامل مع الله .

أما غير المؤمنين بالله فقلوبهم مقفرة من التوحيد ونفوسهم مظلمة ، وألسنتهم لله غير حامدة وهم مع تمتعهم بنعم الله ، لا يشكرون الله ، وهم قد جحدوا فضل الله عليهم ، وقابلوا إحسانه بالنكران ، وخيره بالكفر والعصيان ، وعطاءه باللؤم والخسة ،ولهذا حقت عليهم كلمة العذاب وأعدت لهم جهنم وبئس المصير ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

إن موقف هذا الصنف من الناس لمن أسوأ المواقف ، وسيؤدي بهم حتما إلى أوخم العواقب ، حيث أنهم قد تمردوا على خالقهم ورازقهم ، وشقوا عصا الطاعة على من بيده مصائر أمورهم وهو الله ، وكان الأجدر بهم أن يعرفوا ربهم ويؤدوا واجبهم نحوه ، لكنهم ضلوا وأضلوا ، وانحرفوا عن جادة الصواب، وعموا عن الحق وصموا آذانهم عنه ، وهم بهذا السلوك الشائن ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٩] .

من هذا العرض الموجز أيها الأخوة والأخوات ، نجد التباين ظاهراً بين موقف كل من المؤمنين والكافرين ، ففريق حامد شاكر ، وفريق جاحد كافر ، فاللهم اجعلنا حامدين شاكرين لك ، واغرس فينا صفة الوفاء ، وعطر ألسنتنا دائما بقولنا ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد عشنا في الحلقة السابقة مع قول الله تعالى : ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ وعرفنا معا موقف كل من المؤمنين وغيرهم ، وفي تلك الحلقة نعيش في رحاب قول الله تعالى : ﴿ **ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾ وهذه الآية الكريمة ، تصف ربنا جل شأنه بالرحمة ،وهو سبحانه منعوت بكل كمال يليق بذاته الكريمة ، ومنزه عن النقص والعجز ، وربنا سبحانه وتعالى قد جعل الرحمة مائة جزء ، أنزل منها إلى الأرض جزءًا واحدًا ، وبهذا الجزء الواحد يتراحم الناس فيما بينهم ، أما الباقي وهو تسعة وتسعون جزءًا فلديه سبحانه ، ورحمة ربنا عامة شاملة لجميع خلقه في الدنيا ، مسلمهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم ، ولهذا نجد أنه لم يُحرم كافر من نعم الله ولم يُمنع عطاء الله عن العاصين ، فالجميع لديهم الصحة والمال والولد ، وهم يتمتعون بكل ما أوجده ربنا من نعم ، ولولا رحمة الله سبحانه لحرم أعداءه في الدنيا من خيره ، ولمنع عنهم فضله وإحسانه ، وهو جل شأنه سيرحم في الآخرة المؤمنين دون غيرهم من العصاة والكفار ﴿ **وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٤٣] .

ودين الإسلام الذي ننتمي إليه تقوم فضائله على الرحمة ، والمسلم الذي أكرمه ربه بالانتساب إلى هذا الدين ، والذي يردد في صلاته هذا الوصف العظيم وهو الرحمة لربنا العظيم ، لابد له من أن يتأثر بما ينطق به ، وينبغي له أن يضع نفسه في إطار الرحمة ، بحيث يكون ذا رحمة لنفسه ، ولا يعرضها للهلاك والضرر ، ولا يسلك بها مسالك الشر ، وأن يعمل في حياته على الوصول بها إلى قمم الخير والنجاح وذرا السعادة والفلاح ، وذلك بطاعته لربه ، وبعده عن المعاصي ، وأن يكون كذلك ذا رحمة بغيره من الإنسان والحيوان ، فلا يظلم ولا يعتدي ، ولا يقسو ولا يعنف ، إذ أن كل أولئك يتنافى مع ما ينبغي أن يكون

عليه المسلم الذي ينتسب إلى دين الرحمة ، وهذا هو رسول الإسلام محمد ﷺ ، الذي هو مثلنا الأعلى ، وأسوتنا الحسنة ، قد اتصف بالرحمة ، وتعامل مع غيره بالرأفة، وقد سجل ربنا لرسوله في كتابه الكريم ما اتصف به من فضائل ومنها الرحمة ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[ التوبة: ١٢٨]وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩] .

وهذا هو الزمان قد سجل في كتاب الفضائل مواقف رسول الله في ميدان الرحمة والرأفة ، فها هو ذا لم ينتقم من أعدائه أعداء الإسلام بعد فتح مكة ، وإنما كان رحيما بهم كل الرحمة ، مع أنهم ليسوا أهلا لها ، فلطالما حاربوه بكل الوسائل ، ولطالما كادوا له ووضعوا العقبات في طريق الدعوة وقد تآمروا عليه ليقتلوه ، وأذاقوا أصحابه ألوان العذاب وصنوف الإيذاء ، لكنه ﷺ مع كل ذلك لم ينتقم منهم وقد كان قادرًا على الانتقام ، ولم يعاملهم بالقسوة كما عاملوه ، لأنه ذو رحمة وعفو ، ولأنه يتحلى بنبل الخلق ومحاسن الشيم ، ولا يزال قوله صلوات الله وسلامه عليه لهؤلاء الأعداء آنذاك« **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » لا يزال هذا القول النبوي الكريم يتردد على فم الزمان ، ولا يزال شاهدا على سمو خلقه ونبل سلوكه ، وبرهانا على عظمته وسعة صدره وشدة رحمته ، وها هو ذا ﷺ كان رحيما كل الرحمة بالأطفال ، وله مواقف كثيرة في هذا الميدان ، مع القريب منهم والبعيد ، ففي أسرته كان يحدب على الأطفال ، ويغمرهم بعطفه وحنانه ، ويلاعبهم ويجلسهم على ركبتيه ، ويعلمهم المشي ، ويتعهد بنفسه نظافتهم ويغسل لهم وجوههم ، وكان إذا قدم من سفر استقبله الصبيان فرحين مبتهجين ، لأنهم يرون فيه القلب الكبير الذي ملئ حنانا وعطفا ورحمة ، وكان يبذل من اهتمامه وعطفه بطفل زيد بن حارثة مثلما يبذله لولده الحسن بن فاطمة ، وكان ﷺ يجلس الحسن على فخذ وأسامة بن زيد على الفخذ الآخر ، ورآه الأقرع بن حابس في يوم من الأيام يقبّل الحسن ، فقال له الأقرع متعجبا : إن لي عشرة أولاد ما قبّلت في يوم من الأيام واحداً منهم ، وهنا يقول له الرسول ﷺ هذا القول الكريم « **من لا يَرْحم لا يُرْحم** »فأدرك الأقرع بن

حابس عند ذلك خطأ تصرفه مع أولاده ، وعرف أن سلوكه مع أبنائه يدل على الجفوة ، وأنه يجب عليه أن يشعر أولاده بحبه ورحمته وعطفه وحنانه ، وبينما الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصلي بالناس ذات يوم إذ جاء الحسين فركب ظهره وهو ساجد ، فأطال الرسول ﷺ السجود حتى ظن الناس أن أمراً حدث ، ولما انتهى ﷺ من صلاته قال المسلمون له : قد أطلت السجود يا رسول الله ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، فقال لهم « **إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله** » .

إنه ﷺ قد ترك الفرصة لابن ابنته فوق ظهره ، وظل ساجداً حتى نزل الحسين دون إزعاج ، وهذا دليل على شدة رحمته ﷺ ، وفي الوقت نفسه ففي هذا التصرف تعليم لأمته ، وإرشاد لأصحابه ، ليقتدوا به وينتهجوا نهجه ، وكان ﷺ يعنى بالخادم ، ويطلب من أصحابه الرفق بخدمهم ، والعفو عنهم عند أخطائهم ، ويوجههم إلى العناية بما يأكلون ويلبسون ، ويحذرهم بتكليفهم بما لا يطيقون ، وكانت النساء محل عطف رسول الله ﷺ أيضا ، ومما يدل على ذلك ، أنه كان في سفر من الأسفار مع المسلمين وفيهم نساء ، وكان النساء يركبن الإبل عندئذ ، وكان مع تلك الإبل عبد يحدو ويغني لها ، فكانت تسرع في مشيها عندما تسمع الغناء ، وفي هذا الإسراع إتعاب للنساء ، ولما رأى الرسول ﷺ ذلك ، قال لهذا العبد الذي يسمى أنجشة « **رفقا بالقوارير** » ففي هذا القول لفت نظر لذلك العبد ، وتوجيه منه ﷺ له ، حتى لا تسرع الإبل وتتعب من عليها من النساء ، وهذا الموقف يدل على امتلاء قلب الرسول رأفة ورحمة ، وما أكثر مواقفه ﷺ في مجال الرفق والشفقة ، فما أعظمه من قدوة ، وما أحسنه من أسوة .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فما زلنا مع ما اتصف به رسول الله ﷺ من رحمة وشفقة ، ولنسلط الضوء على معاملته مع زوجاته وسنجد أنها كانت معاملة مثالية ، مبنية على المروءة والوفاء ، والشفقة والرحمة ، فها هو ذا ﷺ كان يحسن عشرة زوجاته ، ويدخل السرور عليهن ، ويراعي شعورهن ، ويسمح لهن بالمرح البرئ ، وكان يسرّي عنهن ويلاطفهن ، ويقاسمهم اللعب أحيانا حتى يبتهجن ويفرحن ، ولم يحدث منه أن قسا عليهن وأغلظ لهن القول ، وكان ﷺ أرحم وأرق زوج مع زوجاته ، وتلك هي السيدة عائشة رضي الله عنها رفعت صوتها في يوم من الأيام على رسول الله ﷺ ، وكان ذلك أمام أبيها أبي بكر رضي ﷺ ، فتأثر أبو بكر لما حدث من ابنته ، وأخذ يوبخها على تصرفها ، وهمّ بضربها وتأديبها ، لكن الرسول حال بينه وبينها ، ومنعه من إلحاق الأذى بها ، وبعد خروج أبي بكر أخذ الرسول يضاحك عائشة ، وهو يقول لها : «**ألا ترين أني حُلت بين الرجل وبينك** »، وجاء أبي بكر فاستأذن على الرسول ﷺ فوجده يضاحك عائشة ويدخل السرور عليها ، فقال أبو بكر عندئذ : يا رسول الله ، أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما ، وابتهج أبو بكر كل الابتهاج بمعاملته ﷺ، تلك المعاملة التي خلت من الغلظة والقسوة ، واتسمت بالرأفة والعطف والرحمة، وهذا موقف من مواقف رسول الله ﷺ في ميدان حسن المعاملة ونبل التصرف والرحمة ، وأبو بكر ﷺ يدخل على عائشة في يوم من الأيام ، فيجد عندها جاريتان تغنيان وتضربان بدُفّيْن ، والرسول جالس وهو متغش بثوبه ، وعندئذ أخذ أبو بكر في لوم ابنته ونهرها وإغلاظ القول لها ، وهنا يكشف الرسول ﷺ عن وجهه ويقول لأبي بكر « **دعها يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد ، وإن لكل قوم عيد وإن عيدنا هذا اليوم** » ففي هذا التصرف من جانب رسول الله ﷺ

ما يدل على الحرص الشديد على إدخال الفرح والسرور على عائشة ، وعلى رقة أخلاقه وحسن معاملته ، ولم يكن هذا الأسلوب من حسن المعاملة والرحمة خاصا بعائشة وحدها وإنما كان ﷺ مع كل زوجاته دون استثناء على هذا النمط الفريد من المروءة والرأفة والرفق والعطف والرحمة ، وكما نعلم جميعاً كان لرسول الله زوجات كثيرات ، وكان يعدل بينهن كل العدل ، ويعاشرهن بالمعروف ، ويقدم لكل منهن ما يقدمه للأخرى من لوازم البيت وحاجيات الأسرة ، وكان إذا أراد السفر أقرع بين زوجاته ، فأيتهنّ أصابتها القرعة خرجت معه ، وكان يقوم مع زوجاته بأعمال البيت ، وقد سئلت عائشة: ماذا كان يصنع الرسول في البيت ؟ فقالت : كما يصنع أحدكم ، يشيل هذا ويحط هذا ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع لهم اللحم ، ويقيم البيت ، ويعين الخادم في خدمته ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

وقد امتدت رحمته ﷺ لتشمل الحيوانات ، ولهذا كان يحرص على أن تعيش في ظل الرحمة ، وعلى ألا تكلف من العمل مالا تطيق ، وبحيث تأخذ ما يكفيها من الطعام والماء ، بل إنه ﷺ أمر المسلمين بالرحمة بالحيوان عند ذبحه ، ولذا قال ﷺ « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** » ووجه المسلمين إلى أن تكون الموسى حادة ، حتى لا يعذب الحيوان عند ذبحه ، وإلى أن تسن الشفرة بعيدا عن الحيوان ، وهذه التوجيهات النبوية نابعة من معين رحمته ﷺ وهكذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل الكامل في هذا الميدان العظيم ... والمسلم الحقيقي هو ذلك الذي يسير على نهج الرسول في رحمته بمفهومها الواسع ، بحيث يكون ذا رحمة بنفسه ، بوالديه ، بزوجته ، بأبنائه ، بأقاربه ، بجيرانه ، بحيواناته ، بوطنه ، بالإنسانية جمعاء ، وهذا نموذج من النماذج الممتازة بعد رسول الله ﷺ في مجال الرحمة ، إنه عمر بن الخطاب ﷺ ، ذلك الذي صنع منه الإسلام هذا النموذج الحي لقد مر ﷺ في يوم من الأيام برجل من أهل الذمة يسأل الناس ويطلب منهم المساعدة لأنه فقير وغير قادر على العمل لكبر سنه ، ولما رآه عمر سأله عما ألجأه إلى مد يده ، فقال له : السن والحاجة يا أمير

المؤمنين ، وهنا تحركت عوامل الشفقة والرحمة في قلب عمر ، وتألم أشد الألم ، وقال عندئذ : ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته وضيعناه في الهرم ، ثم ذهب به إلى بيت المال فأعطاه حاجته ، وكتب رسائل إلى الولاة يقول لهم فيها ، بان يخصصوا لكل شيخ من أهل الذمة ضعف عن العمل ما يحتاج إليه من بيت المال ، ليعول نفسه وأهله ، وهكذا كان عمر بهذه الصورة المتألقة من الرحمة ، وله مواقف كثيرة مشرفة ، وهناك نماذج أخرى كثيرة في هذا الميدان لغير عمر ﷺ والأمثلة كثيرة كثيرة ، وهذا العيد الذي يقام في كل عام للطفل ، إنما هو رمز على الرحمة بالأطفال ، والإسلام قد سبق كل الأمم والشعوب في الرفق والرحمة، وقد امتدت مظلته لتشمل كل ذي روح ، إذن فالإسلام دين رحمة لا قسوة ، وهو يحث دائما على الشفقة والرأفة ، وفي المقابل نجد بعض الناس لا يعرفون الطريق إلى الرحمة ، فهم غلاظ الأكباد وقلوبهم قدت من الحجارة ، وقد خلت نفوسهم من المعاني الإنسانية ، وهؤلاء أشقياء ، وهم ليسوا أهلا لرحمة الله ، وهذا رسول الله ﷺ يقرر في حديث شريف أن الرحمة لا تنزع إلا من الأشقياء ، حيث يقول ﷺ : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقي** ».

فلنتأس برسول الرحمة .الذي يقول عنه ربه : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولنسر على درب هذا الرسول الكريم ، وبهذا نسعد دنيا وأخرى ، وننال رضا ربنا .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فيقول ربنا في سورة الفاتحة ﴿ **مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ** ﴾[الفاتحة : ٤] ومن غيره سبحانه يملك أمور الخلق يوم القيامة ؟ ومن سواه جل شانه يملك الجزاء ؟ إنه لا شيء إلا الله ، ولا أحد سواه ، هو الله الذي يملك ويتصرف ، يملك ويتصرف دنيا وأخرى ، ففي الدنيا يصرّف أمور الكون بقدرته ، وينظم كل شيء فيه بإرادته ، وهو الذي خلق ورزق ، وأمات وأحيا ، وصنع وأتقن ، ورتب أمور كل شيء ، فهذا نهار وذاك ليل ، ولكل منهما خصائصه وسماته ، وهذه سماء وتلك أرض، ولكل منهما نظام معين ، وهذا حيوان وذاك إنسان ، وتلك جبال وهذه انهار وبحار ... إنها خلائق متنوعة ، ولكل ما خلق الله دور مرسوم ونظام معين ووظيفة مؤداة ، حسبما أراد ربنا وقدّر ، وطبقا لما ثبت في علمه سبحانه وتعالى، وإذن فهو جل شانه خلق وملك ، ﴿ **لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ** ﴾[الحديد : ٢] وفي الآخرة هو أيضا مالك ، ولا مالك سواه، ولا متصرف في أمر هذا اليوم إلا الله ، وهذا اليوم حق لا شك فيه ، والإيمان به عنصر من عناصر الإيمان ، وفي يوم القيامة هذا يقول ربنا بعد فناء جميع خلقه «**لمن الملك اليوم ؟**» فلا يجيبه أحد ، لأن الخلق جميعا في عالم الفناء آنذاك ، وعندئذ يقول سبحانه « **لله الواحد القهار** » ، والمالك للشيء هو صاحب التصرف فيه ، وما دام ربنا يملك أمر يوم القيامة ، فيلزم بالضرورة أنه سيتصرف فيه وحده ، وسيفصل في أمر العباد دون غيره ، وهو الذي سيثيب ويعاقب ، بدون مجاملة وبلا محاباة ودون وساطة وبلا ظلم ، بل بالعدل المطلق وبالقسطاس المستقيم ﴿ **وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ** ﴾[الأنبياء ٤٧] ﴿ **فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ** ﴾[الزلزلة: ٧-٨] .

والناس في يوم الجزاء ليسوا سواءا ، إذ المواقف متباينة ، والعاقبة مختلفة ، فمنهم السعيد ومنهم الشقي ، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود: ١٠٦-١٠٨] وهناك في الآخرة من يأخذ صحيفة أعماله بيمينه ، ومن يأخذ صحيفة أعماله بشماله ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾[الحاقة : ١٩- ٢٩] .

وهكذا يجد كل إنسان صحيفة أعماله ، ويقرأ كتابه بنفسه ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء : ١٣-١٤] إنه في ذلك اليوم الذي يملك ربنا أمره ، تتكشف الأستار ، وتتضح الحقائق ، ويظهر ما كان خافيا ، ففي هذا اليوم ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] إن كل إنسان مشغول بنفسه، ويهمه شأنه ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٧] وفيه ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج :٢ ] .

ولو أن الإنسان المذنب حاول في هذا اليوم العصيب الرهيب أن يلقى التبعة

على غيره ، فإن ذلك لا يعفيه من المسئولية وتحمل النتيجة المرة ، وهو لو قال إن الشيطان قد أجبرني على المعاصي ، وقادني إلى فعل الشر ، فإن الشيطان يتبرأ منه ويقول له ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[إبراهيم : ٢٢] وإذا أنكر الإنسان في هذا اليوم أعماله التي صدرت منه في دنياه ، فإن ربنا يأمر أعضاءه بأن تشهد عليه ، ويفضحه لإنكاره ، ويأمر كذلك الأرض لتشهد هي الأخرى عليه ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النور : ٢٤] ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[الزلزلة :٤-٥] وبعد أن تشهد أعضاء الإنسان بالحقيقة ، يقول لها الإنسان ألم تعلمي انك بشهادتك عليّ تعذبين ، فتقول له : ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت : ٢١] .

وهكذا يحاصر الإنسان المذنب من جميع الجهات ، وينكشف أمره وتظهر أحواله ، وبعدئذ يأخذ نصيبه من العذاب ، وينال حظه من العقاب .هذا هو الإنسان المذنب ، الذي بارز ربه بالمعاصي ، والذي جحد نعم الله ، ولم يؤد واجبه نحو الله ، أما الإنسان المثالي في دنياه ، الذي عرف ربه ، وخشي خالقه ، وقام بواجبه نحو من بيده مصائر الأمور ، فأمامه الخير والنعيم ، أمامه الرضا الإلهي ، والكرم الرباني ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

هذا هو يوم القيامة ، الذي يملك ربنا أمره وهذا هو يوم الدين يوم الجزاء ، يوم الثواب والعقاب ، وصدق رب العزة حيث قال :﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة : ٤] .

فاللهم اكرمنا في هذا اليوم بكرمك الإلهي العظيم ، وأظلنا بظل رحمتك ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فيقول ربنا في سورة الفاتحة ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾[الفاتحة : ٥ ] ونقرأ ذلك في صلاتنا ، ونخص ربنا بالعبادة دون سواه ، وهذا إقرار من المؤمنين لربهم ، وعهد وميثاق بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لأنه سبحانه هو الخالق الرازق ، وهو المحيي والمميت ، والنافع والضار ، والمالك لكل شيء ، والعالم بكل شيء وهو الذي سيبعث الخلق ويحاسبهم على أعمالهم ، أما غير الله من ملائكة وإنس وجن وجماد ، فلا شيء من هذا كله يستحق العبادة لأن كل ما عدا الله مفتقر إلى الله ومخلوق من مخلوقات الله ، والمخلوق غير مؤهل للعبادة لأن يعبد ، فربنا بما اتصف به من صفات الكمال ، وبما نعت به من نعوت الألوهية ، وبتنزهه سبحانه عن العجز والافتقار والنقص كان هو وحده المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، ولهذا اتجه المؤمنون العارفون بربهم إلى عبادته ، وهم لا يشركون به شيئا والمؤمنون يعبدون ربهم دون غيره ، لأن الآيات أمامهم مبثوثة في هذا الكون الفسيح ، وهي ناطقة بقدرة الله ، وشاهدة على عظمة الله ، ودالة على وحدانية ذلك الرب العظيم .

**وفي كل شيء له آيـــة تدل على أنه الواحـــد**

هذا موقف المؤمنين بالله ، موقف علم لا جهل ، موقف معرفة ونظر ، موقف إيمان وتوحيد ، وعبادة وفهم ، وربنا قد خلقنا ودلنا عليه ، وأمرنا بعبادته وطاعته ، وأسمى وظيفة لنا في حياتنا أن نعبد من خلقنا ، ونطيع من ذرأنا وأكرمنا بنعمه ، ونحن نعبده استجابة لقوله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ**

فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ونعبده امتثالا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨] .

تلك هي وظيفة المؤمنين الأساسية ، وهي عبادة الله الذي يملك كل شيء ، فإذا أديت هذه العبادة كما ينبغي أن يكون الأداء ، وإذا كانت متسمة بالإخلاص الكامل والخشوع التام لله رب العالمين ، كان ذلك سببا في نيل الثواب العظيم من الله ، والحصول على أسمى المكافآت منه سبحانه ، والسعادة الخالية من المكدرات في الدنيا والآخرة ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].إن الإيمان المصحوب بالعمل الصالح هو طريق الخير والفلاح وسبيل السعادة دنيا وأخرى .

والعبادة لله انقياد له وطاعة ، والتجاء إليه وتقرب بصالح الأعمال ، وامتثال للأوامر واجتناب لما نهي عنه ، والصلاة عبادة ، والصوم عبادة ، والحج عبادة ، وما إلى ذلك من ألوان العبادات ، والعبادة تصفية للأرواح ، وتهذيب للنفوس، وتطهير للقلوب وتعديل للسلوك ، وسمو بالأخلاق .

والإنسان الذي يعرف ربه حق المعرفة ، ويشرق قلبه بنور الإيمان ، ويستخدم أعضاءه في عبادة الله ، وينأى بنفسه عن الوقوع فيما حرم الله ويتحلى بأنبل السجايا، لهو عند الله خير من الملائكة ، ومنزلته عند الله عالية ، لأنه أخضع نفسه لسلطان الدين ، وقام بواجبه نحو رب العالمين .

إننا ـ نحن المسلمين ـ لا نعبد إلا الله ، لأنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، نعبده وحده ، لأنه الإله الخالق المنعم العزيز الجبار المتكبر ، ونخصه سبحانه بعبادتنا له دون سواه ، لأن كل من وما في هذا الكون من صنعه البديع ، ونقول بألسنتنا له سبحانه ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ أما غير المؤمنين فقد انحرفوا عن الجادة ، وبعدوا عن طريق الهدى ، حيث عبدوا

غير الله ، وانغمسوا في وحل المعاصي وسلموا زمام أمرهم للشيطان الرجيم ، فهو قائدهم وموجههم ، وهو مضلهم ومغويهم ، ولهذا ألهوا غير الله ، وتقربوا بالطاعة لمخلوقات الله ، ولم يفكروا التفكير السليم ، ولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض .

إنهم لم يقروا لخالقهم باستحقاق العبادة ، ولم يخصوه بالطاعة ، وأقفرت قلوبهم من عقيدة التوحيد ، فكانوا بهذا السلوك المعوج المنحرف محلا لغضب الله ، ولهم جهنم يصلونها وبئس المصير ، وقد تناول القرآن الكريم كلا من الفريقين ، فريق العابدين ربهم ، وفريق الكافرين به سبحانه ، وتحدث عن نتيجة كل من الإيمان والكفر ، ومصير كل من العابدين الله وغيرهم ممن لم يعبدوه ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ **ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ** ﴾ [محمد : ١-٣] . وحيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[محمد : ١٢] .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

ففي تلك الحلقة نعيش في رحاب قول الله تعالى ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[الفاتحة: ٥] ونحن المؤمنين حين نقول ذلك في صلاتنا ، فإننا نقرر أننا فقراء إلى الله ، وبحاجة ماسة إلى عون الله ، لأنه سبحانه هو الغني القادر .

وبعونه جل شأنه تتحقق آمال الإنسان ، ويصل إلى ما ينشده من خير ، ورسول الإسلام محمد ﷺ أمر بأن يستعين الإنسان بربه لينجح ، ويعتمد على خالقه ليتحقق الهدف الذي يسعى إليه ، حيث قال ﷺ « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، ولا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان** » .

ففي هذا الحديث حث على الاستعانة بالله والاعتماد عليه في كل الأمور ، والإنسان مهما أوتي من ذكاء وفطنة ، وحصّل من علم وخبرة ، وقوة وسداد رأي مهما أوتي كل ذلك ، هو مفتقر كل الافتقار إلى عون الله ، وفي أشد الحاجة إلى الاعتماد عليه سبحانه ، وهو لن يستطيع تحقيق أهدافه إلا إذا كان هناك تيسير من الله، ورعاية من الخالق العظيم .

**إذا لم يكن عون من الله للفتى      فأول ما يجني عليه اجتهاده**

فالتوفيق موكول إلى من بيده التوفيق ، وتحقيق الآمال مرتبط بتيسير الله ، ونجاح المقاصد مقترن بأمر الله ، وقدرة الإنسان محدودة ، وطاقته كذلك محدودة، وهو عاجز بنفسه ولهذا لا يصل إلى هدفه إلا بإرادة الله وقدرته وعونه ، وإذن كان لابد من الاستعانة بالخالق القادر ، وبالاعتماد عليه سبحانه تكون الرعاية الإلهية ، وعندئذ يأخذ الله بيد الإنسان ، ويمنحه الصبر وقوة العزيمة ، ويحول بينه

وبين العقبات التي تعترض طريقه ، وبهذا يصل إلى غاياته ويبلغ ما تتوق إليه نفسه من آمال ، ولحاجة العبد الملحة إلى عون الله أمرنا ربنا أن نطلب منه التيسير والعون وأن نردد قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ في كل ركعة من صلواتنا .

إن المؤمن بربه ، يدرك أن الله هو الذي يساعد الإنسان في الوصول إلى غاياته ، ويعلم أن ربه هو المعين ، ولذلك يلتجئ إليه سبحانه ، ويعتمد عليه في كل شئونه ، ويتوكل على خالقه في جميع أموره ... وهذا هو رسول الله ﷺ يوجه بعض نصائحه ووصاياه إلى ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هذا الشأن، وفي الوقت نفسه هي نصائح لكل أبناء الإسلام ، وما أغلى نصائح النبي عليه الصلاة والسلام ، قال الرسول ﷺ لابن عمه : « **إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » .

فهذا الحديث الشريف يقرر توجه الإنسان إلى الله وحده بالسؤال وبالاستعانة، وهذا هو التوحيد الخالص ، الذي يرشد إليه قول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧] ولذا كانت«لا حول ولا قوة إلا بالله»كنزًا من كنوز الجنة، فكامل الإيمان قلبه متعلق بالله وحده ، ويشتد وثوقه بما عند الله أكثر مما في يده، وحسبنا دليلا على ذلك قول الله تعالى:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[التوبة:٢٥-٢٦]وقوله تعالى:﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[آل عمران: ١٦٠] .

وهكذا تجد الرسول الكريم ﷺ يوجهنا إلى طريق الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص . فالاستعانة بالله من سمات المؤمنين الصالحين ، والاعتماد عليه سبحانه من علامات المتقين .

أما غير المؤمنين بالله فهم في غفلة عن ذلك ، إنهم لا يفكرون إلا في شهواتهم ومادياتهم ، وهم يعتقدون أن لهم القدرة على تحقيق ما يطمحون إليه، وأن لهم الحول والقوة ، وهم يعيشون لاهين لاعبين عابثين ، فلا عقيدة تتسم بالسلامة والصحة تشرق بها قلوبهم ، ولا سلوك خير من جانبهم ، ولا معرفة بالخالق العظيم الذي يملك مصائرهم .

إن الإيمان الحقيقي بالله ، يملأ قلب المؤمن نورا ويوجهه دائما إلى مسالك الخير والمعرفة بربه ، ويقوده نحو الالتجاء إلى الله ، والاعتماد عليه سبحانه في كل شئونه ، ويجعله موصول القلب بالله ، مشدودًا نحو طلب العون من الله ، اعتقادًا منه أنه النافع والضار ، وأنه صاحب القدرة القادرة التي لا تعرف الحدود ، ولا يعتريها العجز أو الضعف ، وأنه سبحانه ذو الطول والحول والقوة، وأن السموات والأرض ومن وما فيهما ملك له ، وأنه « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

هذا هو المنهج الإيماني ، وتلك هي سمات الإيمان الحقيقي ، فاللهم اجعلنا ممن يعرفون طريق الحق ، طريق الاستعانة بك والاعتماد عليك ، آمين .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فيقول ربنا ونقول أيضا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] والصراط المستقيم هو طريق الدين الذي لا عوج فيه ، طريق الهدى والنور والخير ، والسعادة والنجاح والفلاح ، طريق المعرفة بربنا ، والسمو بأرواحنا والتحلي بالفضائل ، ومن كان كذلك ومن سلك تلك الطريق التي رسمها الله ، والتي توصل إلى الله ، فهو مؤهل لرضا ربه عليه ، وهو الفائز بالنجاح في دنياه وأخراه

إن المؤمن يدعو ربه قائلا : ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ والدعاء عبادة ، بل هو مخ العبادة ، يدعو ربه وهو في أحسن حال وأكمل هيئة ، ويناجيه في صلاته وهو طاهر مقبل على عبادته ، ويرجو من الله سبحانه أن يوفقه إلى سلوك سبيل الخير ، ويكرمه بالاستمرار والمداومة على وضع نفسه وذاته في إطار الدين ، والالتزام بمبادئه وتطبيق تعاليمه ، وامتثال أوامره والبعد عما نهي عنه ، إنه يدعو ربه الذي خلقه فأحسن خلقه ، أن يكون دائما كما أمره ، مستقيما غير معوج ، مستقيما في عقيدته ، في سلوكه ، في سائر تصرفاته ، بعيداً عن الانحراف ، نائيا عن التخبط في الحياة ، موفقا في عبادته ، وهو لا يدعو لنفسه فحسب ، وإنما يدعو بأسلوب الجمع ، ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ ومن قبل حين قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال بأسلوب الجمع لا الإفراد ، ليقرر بأن دين الإسلام دين عام وشامل ، دين وحدة وتواد وترابط ، وأنه يحتضن كل من ينتمي إليه ، ويظل بظلاله الوارفة جميع من يلتفون حول رايته ، ويلتقون على موائده.

إن المسلم يرجو من ربه في خشية وتضرع ووقار ، أن يكون من المستقيمين ، وفي رجائه هذا في كل صلاة من صلواته ، إيحاء للنفس على الاستقامة ، التي هي أسمى خلال الإنسانية ، والتي تؤدي إلى سعادة الفرد والمجتمع . وربنا الذي هو عالم بما ينفعنا ، أمرنا بالاستقامة لنسعد .

وهذا هو رسول الله ﷺ كان في يوم من الأيام مجتمعا مع أصحابه ، فخط خطا مستقيما وخط على يمين هذا الخط المستقيم وعلى يساره خطوطا أخرى ، وبين بعد ذلك أن الخط المستقيم الذي في الوسط ، هو الذي يجب على الإنسان أن يسلكه ، وهو الذي يوصل إلى رضا الله والفوز بجناته ، وبين كذلك أن الخطوط الأخرى التي على يمين الخط المستقيم والتي على يساره ، هي خطوط الشيطان اللعين ، خطوط الاعوجاج والانحراف والشر ، وأرشد ﷺ إلى أنه يجب على الإنسان ألا يسلك خطا من هذه الخطوط الشيطانية لأنها تقوده إلى غضب الله وسخطه ، وتؤدى به إلى أسوأ مصير ، ثم تلا ﷺ قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

إن دين الإسلام دين استقامة ، وإن رسول الإسلام هو مثلنا الأعلى في الاستقامة، ومع هذا قال له ربه ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] .

إنه أمر إلهي لرسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين بالمداومة على الاستقامة ، وهذه الآية كانت أشق ما نزل على رسول الله من آيات ، وعقب نزولها أسرع الشيب إلى شعر الرسول ﷺ ، وقد لاحظ الصحابة تلك الظاهرة ، ولذا استفسروا منه ﷺ عن السبب في ذلك ، حيث قالوا له ، لقد أسرع الشيب إليك يا رسول الله، فبين لهم السبب وأفصح عن السر ، حيث قال لهم : « **شيبتني هود وأخواتها** » .

وهذه الآية التي أمر الله فيها بالاستقامة وهي قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ من سورة هود ﷺ ، أما أخوات هود فهي : سورة الواقعة ، وسورة الحاقة ، وسورة المعارج ، وسورة النبأ ، وسورة التكوير ، وسورة القارعة .

وكلمة الاستقامة كلمة صغيرة المبنى ، لكنها كبيرة المعنى وتحت هذه الكلمة

يندرج كل فعل جميل وعمل نبيل ، وفي ظل الاستقامة يعيش المستقيمون في عزة وكرامة ، وخير وسعادة ، ويحيون في دنياهم وأخراهم حياة طيبة ، هانئة آمنة مطمئنة ، بعيدة عن المكدرات ، خالية من المنغصات ، صافية من الشوائب . ومعنى الاستقامة ، أن يكون الإنسان صحيح العقيدة ، سليم الطوية ، نقي السريرة ، وأن تكون تلك العقيدة حية في قلبه قوية في أعماقه ، وأن تظهر آثارها على كل جارحة من جوارحه ، بحيث يكون كما أمر الله ، إنساناً عف اللسان ، فلا يغتاب ولا ينم ، ولا يكذب ولا يقول زورًا ، ولا يؤذي به أحداً من الناس، وان يستعمله في ذكر ربه ، ويستخدمه في طاعة خالقه وفيما يعود عليه وعلى الإنسانية بالخير ، وبحيث يوجه كل عضو من أعضائه في الميادين الصالحة النافعة، ويؤدي كل ما وجب عليه نحو ربه ونفسه وغيره ، ويكون مهذب السلوك ، حسن السيرة شاكراً ربه عند النعمة ، صابراً حين يصاب بمكروه ، وهكذا نجد كلمة الاستقامة ذات معنى واسع ، وإطار كبير والمؤمن بربه حق الإيمان ، نراه مستقيم الحال ، ونجده حريصا على توثيق الصلة بربه ، واضعا نفسه في دائرة الأعمال الصالحة التي ترضي الله تبارك وتعالى .

إن موقف المؤمن موقف مثالي ، والاستقامة ديدنه ، والفضائل شيمته ، والسلوك الحسن حليته ، وهو دائما يسعى إلى الخير ، ويعزف عن الشر ، أما غير المؤمن ، فموقفه من الاستقامة موقف الرفض لأن قلبه خلو من الإيمان ، ولأن نفسه يسكنها الشيطان ولأنه يعيش في دنياه كالحيوان ، ولذا نراه معوجاً في حياته ، معوج العقيدة ، معوج السلوك ومن هنا كان منغمسا في الرذائل ، بعيداً عن بستان الفضائل ، متحالفا مع الشر .. إنه لا يعرف ربه ، فمن أين يستقيم ؟ وهو لا يرى طريق النور والإيمان فمن أين يكتسب الفضائل ؟ وهو لا يفكر إلا في ملذاته وشهواته ، فمن أين يكون صلاح حاله ؟ إن المادية طغت عليه وأسرته ، وإن الشيطان ملك زمام أمره وقاده إلى أسوأ مصير ، فهو يعاقر الكئوس ، ويعيش في الحانات ، ويجلس على موائد الموبقات ، ويتنقل من رذيلة إلى رذيلة ، ويسعى إلى ارتكاب الذنوب في كل اتجاه .. هذا هو شأن من لا يعرف ربه ، وتلك حال من بعد عن الإيمان بالله ... إنها حال شائنة ، وإن

عاقبته سيئة ، ومستقبله قاتم السواد ، وهو إلى جهنم وبئس المهاد ، فما أحسن طريق الاستقامة ، وما أعظم المستقبل لمن يستقيمون في حياتهم ، ولنا عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فما زلنا مع قول الله تعالى : ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة : ٦] ومازال الحديث موصولا مع الاستقامة ، تلك التي هي التزام لحدود الله تعالى .

وللاستقامة آثار طيبة في صلاح حال الأفراد والجماعات ، ولها أعظم النتائج في سعادة الإنسان ورقي الشعوب ، فإذا كان المستقيم رئيسا في أي موقع من المواقع ، امتد ظل هذه الاستقامة ليشمل جميع المرءوسين ، وكان ذلك سببا في صلاح حال الجميع ، فإذا كان تاجراً أمينا غير جشع ولا مستغل ، مستقيما غير منحرف ، نال محبة الناس وإقبالهم عليه وكان قدوة حسنة لغيره ممن يمارسون التجارة ، وبهذا يكون المجتمع طاهراً من الغش والاستغلال ، نظيفا من أكل أموال الناس بالحرام ، وإذا كان المستقيم والدًا ، فإن أبناءه يكونون كذلك ، حيث يكتسبون منه سجاياه ، ويسيرون على دربه ويسلكون سبيله ، وعندئذ يكون الوطن كله مستقيما ، ويجنى المجتمع ثمار الاستقامة ، وإذا كان المستقيم طالبا ، فإنه يحقق لنفسه ولمجتمعه النجاح الباهر والمستقبل المشرق الباسم ، والأمثلة كثيرة في هذا الميدان . وإذن فبصلاح حال الأفراد يكون صلاح الجماعات ، وبصلاح حال الجماعات تكون سعادة الشعوب ولذا أمرنا الله تعالى بالاستقامة وجاء الدين الإسلامي حاثا عليها مرغباً فيها ، وها هو ذا كتاب الله تبارك وتعالى ، يبين لنا بعض نتائج الاستقامة ، ويرشدنا إلى ثمرة من ثمارها ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[الأحقاف : ١٣] .

فالمؤمنون الأقوياء في عقيدتهم ، المستقيمون في حياتهم ، يكونون دائما في أمن وسرور ، فلا يخافون من نزول مكروه ، ولا هم يحزنون على شيء محبب

إلى النفس لم يدركوه ، وإنما هم في ابتهاج قلبي وسرور نفسي ، وحبور روحي، تلك حالهم في الدنيا ، أما في الآخرة ، فأمامهم الخير كله ، أمامهم جنات النعيم، ورضا رب العالمين ، جزاءً لهم على استقامتهم ومكافأة لهم على مثاليتهم في دنياهم ، مصداق ذلك قول ربنا في كتابه الكريم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٤]

والقرآن الكريم قد ذكر آيات أخرى تبين نتيجة الاستقامة ، وتتحدث عن الخير العظيم من الله لمن استقاموا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

كما ذكر ربنا بعض الأوصاف التي تدل على الاستقامة وبيّن ما يترتب عليها من فوز وفلاح ، وأجر ونعيم ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون ١-١١]

فالاستقامة جماع الخير دنيا وأخرى ، وأساس السعادة في الدارين ، وها هو ذا رجل من صحابة رسول الله ﷺ يسأله عن قول جامع شامل لأمور الدين ، ويطلب منه بيانا شافيا له ولغيره من أبناء الإسلام حيث قال له : يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك ، فأجابه الرسول ﷺ إلى ما طلب،وحقق له ما عنه سأل، وقال له قولا جامعًا للعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق حيث قال صلوات الله وسلامه عليه:« قل آمنت بالله ثم

**استقم** » فهتان الجملتان الصغيرتان اللتان ذكرهما الرسول ﷺ ، قد جمعتا كل أمور الدين ، واشتملتا على كل ما ينبغي أن يكون عليه المسلم لينال الخير من الله ، ففي الجملة الأولى وهي «**آمنت بالله** » تقرير العقيدة الصحيحة السليمة العميقة ، وبيان لما يجب أن يكون عليه المسلم من إيمان عميق بالله ، وفي الجملة الثانية وهي « **ثم استقم** » بيان للمعاني الإسلامية التي تقتضيها تلك العقيدة الإيمانية وإبراز للإطار الذي يضم ما يستلزمه الإيمان بالله ، من عبادات ومعاملات وأخلاق فاضلة ، وبعد عما حرم الله .

وهذا القول من جوامع الكلم التي اختص بها رسول الله ﷺ ، ولو كان هناك شيء أوضح من ذلك البيان المحمدي الرائع لقاله الرسول ، ولكن فيما قرره ﷺ وضوح ما بعده وضوح .

وإذن فالاستقامة توأم الإيمان ، وهي لازمة من لوازم العقيدة . ثم إن هناك ارتباطا بين استقامة الإيمان والقلب ، وبين استقامة القلب واللسان وذلك فيما قرره رسول الله ﷺ في حديثه الشريف الذي يقول فيه : « **لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** » .

إن القلب في جسم الإنسان ، إما أن يكون مصدر خير، وإما أن يكون مصدر شر، فإذا كان مستقيما نقيا طاهرًا كان منبعا للخير ، وباعثا على كل عمل نافع جليل، يدل على ذلك قول الرسول ﷺ : « **ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

ويستطيع الإنسان أن يكون مستقيما في حياته ، والوسيلة إلى ذلك ، هي أن يصاحب الأخيار ويبتعد عن الأشرار ، ويقتدي في أعماله بالصالحين وذوي السلوك الحسن ، وأن يثقف عقله بالعلم النافع الذي ينير له السبيل ، ويقوده إلى طريق الخير ، وان يفهم ويعي أن ربه مطلع عليه ، وأنه سيموت ويحاسب على أعماله ويجازى عليها ، وأن يحاسب نفسه دائما على كل خطأ يقع فيه ، ويؤنبها إذا قصرت في شيء وجب عليه أن يؤديه ، إنه إذا راعى هذه الأمور ، ووجه نفسه إلى حيث أمر الله ، عاش مستقيما قرير العين مطمئن الفؤاد ، وكان محلا للرضا الإلهي والتكريم الرباني ، في جنة عالية دانية القطوف ، وهذا رسول الله

ﷺ ، يرسم طريق الفلاح للإنسان ، حيث قال عليه السلام : « **قد أفلح من اخلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه صادقا ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة** » .

إن الاستقامة أغلى ثروة وأعظم كنز ، فليكن الإنسان مرتديا ثوب الاستقامة، وليتجه دائما إلى الصراط المستقيم ، وليكن في دنياه غير معوج ، ثم إن الاستقامة تفتح أبواب الرزق ، وتحطم العقبات التي تعترض حياة الإنسان ، وتدفع عنه الشر والأخطار ، وصدق رب العزة حيث قال في كتابه الكريم : ﴿ **وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا** ﴾ [الجن: ١٦].

فهنيئا للمستقيمين ، وطوبى لعباد الله المخلصين ، إنهم أحباب الله ، ولهم الأجر العظيم عند الله ، وتعسا وشقاءا للمعوجين في حياتهم ، والمنحرفين عن الصراط المستقيم الذي أمر الله به ، وصدق ربنا القائل : ﴿ **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾ وإلى لقاء إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة التاسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

لقد عشنا في الحلقة السابقة في رحاب الاستقامة ، وعرفنا معًا ما يترتب عليها من خير عظيم وفضل عميم ، والآن مع قول الله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] .

والذين أنعم الله عليهم ورضي عنهم ، هم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[النساء: ٦٩-٧٠] .

وإنعام الله عليهم يتمثل في رحمته الواسعة بهم ، ورضاه التام عنهم ، وحبه العظيم لهم ، وقربه سبحانه منهم ، لأنهم كانوا نماذج ممتازة في الاستقامة ، ولأنهم ملكوا زمام أمورهم ولم يكن للشيطان سلطان عليهم ، وتقربوا إلى الله بما أمر به من طاعة وإخلاص ، والأنبياء والرسل على رأس القائمة لهؤلاء الطائعين المستقيمين ، وهم معلمو الصديقين والشهداء والصالحين ، وموجهوهم إلى المعرفة بالله ، وقد أثمر فيهم هذا التعليم وذلك التوجيه ... ورسل الله هم صفوة الصفوة من خلق الله ، وخلاصة الخلاصة من عباده ، وقد اختارهم ربهم لأسمى رسالة وأنبل وظيفة ، واصطفاهم ليكونوا قادة للإنسانية، وموجهين للبشرية ، ومرشدين لعباد الله إلى المعرفة بالله ، وتزكية نفوسهم والسمو بأرواحهم بما يقدمونه لهم من الزاد الإيماني وقوت الدعوة إلى الله ، وبما يغرسون فيهم من خصال الخير والفضائل الإنسانية ، ورسل الله بعيدون عن الدنس معصومون من الخطايا ، وهم يحملون أرواحًا نقية وقلوبا طاهرة ، ونفوسا نظيفة، ولذلك كانوا مؤهلين للسفارة بين الله وبين خلقه ، وهم قد

جاءوا بمناهج الاستقامة، التي تعتمد على سلامة العقيدة ، وأداء العبادات الهادفة النافعة ، والتحلي بالفضائل وحسن السلوك ، وعلى المثالية في المعاملات والأخلاق .

إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام ، هم النماذج الحية للإنسانية الكاملة ، والمصابيح المنيرة لدياجير الحياة ، وهم الذين أضاءوا القلوب بالإيمان بالله ، وأخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن بؤرة الكفر إلى رحاب التوحيد ، ولم تكن رسالتهم سهلة هينة ، وإنما كانت صعبة شاقة حيث وجدوا في طريقهم محاربين متآمرين ، ممن أضلهم الشيطان ولعب بعقولهم ، وجعلهم في خدمته وطوع إرادته ، وزين لهم الكفر وحببه إليهم ، وجندهم لوضع العقبات في طريق رسل الله ، لكن رسل الله واصلوا المسيرة وأبلوا البلاء الحسن في ميدان الدعوة إلى الله مستمدين العون من ربهم ، آملين تحقيق ما أنيط بهم وما ألقي على كاهلهم من مسئوليات ، معتمدين على خالقهم متوكلين عليه سبحانه ، وقد بين ربنا جل شأنه في القرآن الكريم ما صادف الرسل من متاعب ومشقات حين كانوا يؤدون واجبهم المقدس ، وتحدث عن المؤامرات الشريرة الخسيسة حين كانوا يقومون بتبليغ دعوة التوحيد إلى خلق الله ، وذكر في آيات كثيرة أنواعًا من الأذى من قبل أعدائهم ، الذين سكن الشيطان في قلوبهم ، وسيطر على عقولهم ، وجعلهم يرون الحق باطلا والباطل حقا ، وتلك صور مما جاءت في القرآن الكريم ، فهذا هو إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، دبر الكفار له أشنع مؤامرة ، كي يتخلصوا منه ومن دعوته ، ويقضوا على حياته في أبشع صورة ، حيث جمعوا مدة طويلة من الزمن الحطب والأخشاب ، ووضعوها في بناء أعد لهذا الغرض ، وأشعلوا في هذه المواد التي جمعوها النار ، والقوا فيها إبراهيم عليه السلام ، وكانت نارًا شديدة الأوار ، رهيبة المنظر ، لكنها بقدرة الله الحافظة ، لم تصب إبراهيم عليه السلام بسوء ، ولم تمسه بأذى ، لأن ربنا القادر على كل شيء ، أصدر إليها أمره الإلهي بأن تكون بردًا وسلاما على إبراهيم وفي هذا يقول ربنا : ﴿ **قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ** ﴾[الأنبياء: ٦٩-٧٠] . وهكذا أبطل الله مفعول النار وسلب خاصيتها وعطل وظيفتها ، وحفظ رسوله إبراهيم ، ورد

كيد الأعداء في نحورهم ، ولم يحقق مآربهم ، وهو سبحانه لابد أن يحفظ أحبابه وسفراءه إلى خلقه بقدرته ، وهو على كل شيء قدير وخرج خليل الله إبراهيم من النار سليما ، فكان ذلك هزيمة كبرى لأعدائه ، ونصرًا وتكريمًا لإبراهيم ، وهذا هو عيسى عليه السلام تعقبه الأعداء ليقتلوه ويصلبوه ،ولكن الله بقدرته حفظه ، ولم يمكنهم من ذلك ، وألقى شبهه على الرجل الذي كان يدل الأعداء على عيسى عليه السلام ، وكانت النتيجة أن قتل هذا الشبيه لعيسى عليه السلام وفي هذا يقول ربنا في كتابه الكريم : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾[النساء: ١٥٧] .

إنه الله الحافظ الراعي ، إنه القادر العظيم ، الذي يحمي أحبابه من كيد الكائدين ، ويبعد عنهم شرور الكافرين ، وهذا هو محمد ﷺ ، تآمر الكفار على إهدار دمه ، وجندوا لتنفيذ هذه المؤامرة الخسيسة مجموعة من شباب القبائل المختلفة ، وزودوهم بالسيوف البتارة الحادة وعسكر الشباب أمام بيت الرسول ﷺ ، وانتظروا خروجه لينقضوا عليه ويضربوه ضربة رجل واحد ، ويقضوا عليه وعلى دعوته ولكنه عليه السلام خرج في معية ربه ، وبقدرة الله أعمى الله أبصارهم وجعل من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [يس : ٩] .

إنها القدرة الإلهية الحافظة ، وإنها الرعاية الربانية لأحبابه ، وإنه لعون من السماء لرسل الله،وصدق الله حيث يقول:﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة : ٦٧] هؤلاء رسل الله ، الذين هم على رأس القائمة ممن انعم الله عليهم ، وفي الحلقة القادمة إن شاء الله ، سأواصل الحديث على بقية من انعم عليهم الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

ففي الحلقة السابقة كنا مع طليعة من أنعم الله عليهم ، وهم الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام ، والآن مع نوع آخر ممن قربهم الله إليه ، وأنعم عليهم ورضي عنهم ، وهم الصديقون الذين صدّقوا رسل الله ، وأقبلوا على دعوتهم إلى الله والتفوا حولهم ، وجندوا أنفسهم في ميدان الطاعة لله ،وتقبلوا بقلوب مفتوحة وآذان صاغية كل ما صدر عن رسل الله ، من الدعوة إلى التوحيد ، والتوجيه إلى ميادين الخير ومناهج الاستقامة ، والإرشاد إلى طاعة الله الخالق المنعم ، فديدنهم التصديق الذي لا تشوبه شائبة ، ولا يشوهه شك ، وهم دائما في هذا الإطار من التصديق الذي لا يليق مع التكذيب ، ولا يتفق مع العناد والمكابرة ، وأفئدة هؤلاء الصديقين مستريحة لجميع ما يؤمرون به من قبل الله ، وهم لا يرفضون شيئا سواء أكان أمرا أو نهيا ، ولا يمتعضون لنصح يقدم إليهم ، وإنما هم سعداء بكل ما جاء به رسل الله ، فموقفهم موقف تصديق مستمر ، وهم لا يشكون في شيء مما يحمله رسل الله إليهم وإلى غيرهم من تعليمات ، ولا يرتابون فيما يقدمونه من توجيهات ، وهذا الموقف المشرف من جانبهم مبني على حسن استعدادهم للتلقي ، وعلى سلامة قلوبهم من دنس الشيطان وأرجاسه ، وطهارة نفوسهم وصفاء أرواحهم ، ومادامت الأرواح صافية ، والقلوب سليمة والنفوس طاهرة ، وليس للشيطان تسلط ولا سلطان عليهم ، كان لابد أن يكونوا في القمة من التصديق برسل الله .

إن هؤلاء الأحباب حينما سمعوا دعوة الإيمان لأول وهلة استجابوا لها وتفاعلوا معها ، وعندما دعوا إلى توحيد الله التفوا حول رسل الله وآمنوا وصدقوا ، وتعلقت قلوبهم ، وقويت صلتهم بخالقهم ، واخذوا يؤدون واجبهم نحوه ويقومون بأداء ما كلفوا به من طاعة ، وتأسوا برسل الله في المعرفة بالله ،

وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وتحلوا بالفضائل الخلقية والكمالات النفسية ، وتخلوا عن قبيح العادات ومرذول الصفات .

إن هؤلاء الصديقين ليسوا كغيرهم ممن وقفوا موقف العناد والكفر ، والمكابرة والتكذيب ، وهم لم يكونوا كغيرهم ممن رفضوا دعوة السماء ، ولم يؤمنوا بالمعجزات ، ولم يقتنعوا بالدلائل والبراهين الماثلة أمام أعينهم ، وهم ليسوا كهؤلاء الذين قادهم الشيطان إلى شهر السلاح في وجه رسل الله ، وإنما اقتنعوا وصدقوا وآمنوا وأسلموا ، ولقوة إيمانهم ومواصلة تصديقهم أطلق عليهم وصف الصديقين ، ولهذا كانوا دائما مع رسل الله يؤيدونهم ويذودون عن دعوتهم ، ويناصرونهم ويقفون في وجه أعدائهم ، ويعملون على نشر الدعوة وامتداد ظلها ، فهم جنودها المدافعون عنها ، وهم حماتها ودرعها .

إن هؤلاء الصديقين أحباب الله ، وقد رضي عنهم ربهم ، وأنعم عليهم خالقهم ، ولهم في الدعوة الأجر العظيم من الله ، جزاءً لهم على مواقفهم المشرفة مع رسل الله ، من تأييد متواصل ، وتصديق مستمر ، وإيمان عميق ، وعبادة خالصة ، وأخلاق عالية ،وصلة قوية بمن خلقهم ، إنهم قد تجاوبوا التجاوب الكامل مع الدعوة التوحيدية ، وامتلأت قلوبهم بنورها الوهاج ، فسلكوا مسالك الخير ، وهدوا إلى الله وإلى صراط مستقيم ، وهذا الصنف من الناس وجد في ظل كل رسالة من الرسالات ، وعهد كل رسول من الرسل ، ويحدثنا التاريخ عن شخصية إسلامية لها وزنها الكبير ، ومقامها العظيم ، وتعتبر في الطليعة ممن صدقوا برسول الإسلام محمد ﷺ ، وسارعوا إلى الالتفاف حول لواء التوحيد ، والاستظلال بظل الإسلام الوارف الظلال ، والتصديق التام الذي لا شائبة فيه . إن هذه الشخصية الكبيرة العالية المقام ، هي شخصية أبي بكر الصديق ﷺ ، ذلك الذي يمثل النموذج في هذا الميدان ، ويجسد المثالية في أسمى معانيها ، إنه أول من أسلم من الرجال ، وأول من أسرع إلى التصديق، فهو الباكورة لمن صدقوا وآمنوا ، ثم تتابع الخير بعده ، وقد اشتهر بتصديقه الكامل المتواصل بكل ما جاء به رسول الله ﷺ وسجل له التاريخ في سجله الذهبي وكتاب الفضائل بمداد الإعجاب والإكبار تلك العبارة المشرقة العذبة «

**والله إني لأصدق محمدًا بخبر السماء في غدوة أو روحة** » قال هذه العبارة التي تؤكد قوة تصديقه ، وتبرهن على عمق إيمانه والتي كان لها ـ ولا يزال ـ الصدى العظيم في قلب كل مؤمن ، والتي تسمعها الآذان فتترك في النفس أعظم الأثر ، قال هذه العبارة في معرض الاحتجاج على كفار مكة ، الذين كذبوا رسول الله ﷺ عندما جمعهم وأخبرهم بأنه أسري به من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين في جزء يسير وزمن وجيز من ليلة ، ونطق بها قوية مجلجلة أمام هؤلاء المعاندين لرسول الله ﷺ ، والذين لم يفكروا في خلق أنفسهم وفي ملكوت السموات والأرض ، حتى يدركوا أن الله على كل شيء قدير ، وانه سبحانه هو الذي يؤيد رسوله بالمعجزات ، لتكون برهانا على صدق دعوته ، ودليلا على انه سفيره إلى خلقه لكنهم دأبوا على الرفض ، واستمروا في التكذيب ، واشتروا الضلالة بالهدى ، استجابة لقائدهم الشيطان الذي زين لهم سوء أعمالهم ، وأوقعهم في وهاد الضلال وبؤر العصيان ، وفي هذه العبارة الصدّيقية أيضا إدانة لهؤلاء الكفار ، الذين لم يمعنوا النظر ، ولم يفكروا التفكير الجاد الهادف المتروي فيما جاء به رسول الله ﷺ ، والذين استخدموا عقولهم فيما يضرهم ويؤدي بهم إلى وخامة العاقبة ، واستسلموا للشيطان ليعبث بهم ويبعدهم عن طريق الحق والنور ، وقد وصف الرسول صلوات الله وسلامه عليه أبا بكر بالصديق من ذلك اليوم الذي نطق فيه بتلك العبارة الخالدة ، وهذا الوصف يعني أنه كثير التصديق ، وانه لا يشك أبدا في أي شيء يقوله الرسول .

وقد قرن هؤلاء الصديقون تصديقهم بالعمل الصالح ، الذي هو ثمرة التصديق، وعنوان الإيمان ، فهم لا يقصرون فيما أمر الله به ، ولا يتكاسلون عن شيء أوجبه الله عليهم ، ولا يفترون عن ذكره والتقرب إليه بالطاعة ، وهم لا يقعون في محرم ، ولا يقترفون إثما ، ولا يرتكبون شيئا من المنكرات ، إنهم نماذج إيمانية صادقة ومثل عليا في الفضائل ، ولذا أكرمهم ربهم ، وبوأهم المكانة السامية لديه ، وانعم عليهم ورضي عنهم .وإلى لقاء إن شاء الله ، مع الذين انعم الله عليهم .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد انتهينا في الحلقة السابقة من الحديث عن الصنف الثاني ممن أنعم الله عليهم وهم الصديقون ، والآن مع الصنف الثالث منهم وهم الشهداء ، أولئك الذين ضربوا أروع الأمثلة وأسماها في التضحية ، وجسدوا النموذج الحي في البذل ، فهم قد بذلوا أرواحهم في ميدان الجهاد ، استجابة لأمر خالقهم ، وتطبيقا عمليا لنداء دينهم ، وهم جادوا بأنفسهم فرحين مستبشرين ، من أجل هدف نبيل وغاية سامية ، وهي إعلاء راية التوحيد ، وإخماد نار الكفر ، وإزهاق الباطل وتسابقوا إلى حلبة القتال ليفوزوا بالاستشهاد ، ويحققوا لأنفسهم المستقبل المشرق في الآخرة ، وينالوا رضا الله عنهم ، وهذا أسمى ما يطمح إليه المؤمن .. إن هؤلاء الشهداء قد عقدوا أربح صفقة ، ومع من تلك الصفقة ؟ إنها مع الله الذي خلقهم وملك أرواحهم وكل شيء في هذا الكون ، ومادامت الصفقة مع الله كان لابد من الربح الذي لا يحد ، لأولئك الذين استشهدوا في سبيل الله وهذا هو القرآن الكريم قد تحدث عن ذلك في قول الله تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[التوبة: ١١١] .

فربنا هو المشتري، الرب الذي له ملك السموات والأرض ، وعنده خزائن الخير التي لا تنفد ، أما البائعون فهم أولئك الذين دفعوا بأنفسهم إلى ميدان الجهاد ضد الأعداء ، لينالوا شرف الاستشهاد ، هم أولئك الذين تنبض قلوبهم بالإيمان ، الإيمان القوي الراسخ الجازم ، هم أولئك الذين أيدهم الله بروح منه ، فأسرعوا إلى ساحة الاستشهاد ، كي يفوزوا بالخير العظيم من الله ، ولتوضع

على صدورهم أوسمة المجد والشرف ، وأما السلعة المشتراة ، فهي تلك الأنفس الغالية العزيزة التي خلقها الله ، والذي هو قادر على استردادها ، وهو سبحانه في غنى عن هذه السلعة ، وأما الثمن فهو الإنعام من الله ، والرضا من الخالق العظيم ، والجنة والتكريم من الرب الكريم ، ومن الضامن ؟ إنه الله الخالق ، الذي وعد بالجزاء العظيم في التوراة والإنجيل والقرآن ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ إن وعده سبحانه لا يتخلف ، وإن جزاءه لأحبابه الشهداء محقق ، في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

إن هؤلاء البائعين أنفسهم لربهم فقراء إليه سبحانه ، وليس لأنفسهم هذه سوق رابحة إلا هذه السوق ، وهم الرابحون كل الربح في هذه الصفقة لأنهم بايعوا ربهم على الموت في سبيله وتحت ظلال السيوف وقصف المدافع ، مقبلين غير مدبرين ، صابرين محتسبين ، فرحين مستبشرين ، وقد تحدث القرآن في آية منه عن الأجر العظيم والجزاء الكبير لأولئك الذين يقاتلون في سبيل الله ، ويقدمون أرواحهم من أجل إعلاء كلمة الله ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء: ٧٤] .

إن هؤلاء الشهداء أحياء عند ربهم ، وهم يرزقون عند خالقهم ، ويبتهجون كل الابتهاج بما آتاهم الله من فضله ونعمه ، وهذا هو القرآن الكريم يبين تلك الحقيقة ، ويتحدث عن ذلك الواقع السار ، حيث قال رب العزة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١] .إنه جزاء عظيم من رب كريم ، وإنه نعم العطاء ممن يملك العطاء ، لأولئك الذين لبوا نداء الله ، وجاهدوا في سبيل الله واستشهدوا من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، كما أن القرآن الكريم

تحدث عن الصورة الوضاءة للتجارة الرابحة ، وبيّن ما ينتظر المجاهدين من خير ، وما أعد للشهداء من فوز ، وبشرهم بالمستقبل العظيم في جنات النعيم ، وفي ذلك يقول رب العزة جل جلاله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الصف ١٠-١٣] .

بهذه النتيجة الرائعة جاء القرآن الكريم ، وبهذه النعمة الكبرى تحدث رب العالمين ، فما أعظم ما ينتظر الشهداء من خير ، وما أسمى ما أعدلهم من أجر ، إنهم قد أنعم عليهم ربهم حقا ، وإنهم جديرون بذلك الفضل العظيم من الله ، لأنهم رحبوا كل الترحيب بما أمر به الله ، وبذلوا أرواحهم التي هي أعز شيء لدى الإنسان ، ولم يكونوا مترددين ولا متقاعسين ، وحاربوا الأعداء ولم يجبنوا، وجادوا بأنفسهم ولم يبخلوا ، فكانوا أهلا لرحمة الله وفضله ، وحبه ونعمه ورضاه ، ولحب الاستشهاد في سبيل الله ، والاندفاع إلى ميدانه ، كان المسلمون يتنافسون لمحاربة أعداء الدين ، وصولا إلى تحقيق النصر عليهم ورغبة في الاستشهاد ، وهذا عمير بن الحمام يرمي ما في يده من تمر كان يقتاته ، حتى لا تفوته الفرصة في الجهاد والاستشهاد ، مع انه كان بحاجة إلى أكل ما كان بيده ، رمى ما معه ودخل المعركة كالسيل الجارف ، بعد أن سمع الرسول ﷺ يقول عندما دق ناقوس غزوة بدر : « **والله لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة** » .

فأخذ هذا الرجل يقاتل ويقاتل ويجاهد ، إلى أن وصل إلى تحقيق الأمل المنشود وهو الاستشهاد في سبيل الله ، وهناك نماذج كثيرة من هذا الصنف في عهد رسول الله ﷺ ، وقد سجل التاريخ لتلك النماذج الممتازة الذكر الحسن، والبطولة والشجاعة،والانتصار المؤزر على أعداء الإسلام ، وهكذا نالوا الشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة ، ولما يرى الشهداء في الآخرة من الكرامة عند

الله ولما يجدونه هناك من فضل الشهادة ، فإنهم يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ليجاهدوا ويقتلوا ، وعن ذلك تحدث رسول الله ﷺ في حديث شريف حيث قال : « **ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة** » .

إن الشهداء معالم على طريق النصر ، وهم أمثلة عالية في الشجاعة والبذل ، وبهم رفرفت راية الإسلام عالية خفاقة ، وببطولتهم وتضحيتهم انتصر الحق وانهزم الباطل، وبإيمانهم العميق حققوا لأمة الإسلام المجد والشرف ، فهنيئا لهؤلاء الشهداء ، هنيئا لهم بما أنعم الله به عليهم ، وطوبى لهم وحسن مآب ، وإلى لقاء إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فحديثنا في تلك الحلقة عن عباد الله الصالحين ، الذين هم ممن أنعم الله عليهم وأجزل لهم الأجر ، وأكرم نزلهم وأحبهم ، لأنهم سلكوا الصراط المستقيم كغيرهم ممن انعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين من عباد الله ، هم أناس عرفوا ربهم حق المعرفة ، عرفوه بعيون قلوبهم النورانية ، فامتثلوا أوامره كل الامتثال ، واجتنبوا بصدق كل ما نهى عنه من محرمات ، فهم يؤدون صلاتهم كما أمر الله ، في خشوع وخضوع وحضور قلب ، وهم يحافظون عليها ولا يتكاسلون عن أدائها ، وهم يخرجون زكاة أموالهم حين يوجد لديهم نصابها وهم يشدون الرحال على بيت الله الحرام عندما تتوفر عندهم الاستطاعة ، ويؤدون مناسك الحج بالطريقة الكاملة التي نقلت عن رسول الله ﷺ ، وهم يصومون شهر رمضان مع صيانة الجوارح وإبعادها عن الخطايا ، وهم صادقون في أقوالهم وأفعالهم ، وهم أمناء مع الله ورسوله والناس ، وهم أوفياء بالعهود ، والفضائل حليتهم ، ومحاسن الشيم لباسهم ، وفي الوقت ذاته هم بعيدون عن كل ما يشوه هذه الفضائل ، فلا يزنون ولا يسرقون ، ولا يكذبون ولا يخونون ، ولا يغشون ولا يغتابون ، ولا يسعون بالفساد في الأرض ، ولا يقعون في أي منكر من المنكرات ، وهؤلاء الصالحون هم المؤمنون المتقون ، والمؤمن إذا اتقى ربه ، وخشي خالقه ، نال الخير كل الخير من الله وحظي برضا ربه العظيم ، إن الصالحين من خلق الله هم أولئك المتقون ، والمتقون أولياء الله ، وأولياؤه سبحانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن ذلك ويذكر نتيجة تقوى الله وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [ يونس ٦٢-٦٤] .

وعباد الله الصالحون لا اعوجاج في حياتهم ، ولا انحراف في مسيرتهم ولا التواء في تصرفاتهم ، ولا شوائب في عقيدتهم ، ولا رياء في أعمالهم ، ولا انقياد للشيطان من جانبهم ، ولا تسلط منه عليهم ، وهم متحكمون في نفوسهم ومالكون زمام أمورهم ، وهم قد عرفوا طريق النور فسلكوه وطريق الظلام فاجتنبوه .. وهم قد أدركوا أن الدنيا حقيرة حقيرة ، وأنها لاتزن عند الله جناح بعوضة ، وأنهم سيفارقونها ويرحلون عنها ، لأن حياتهم مؤقتة فيها ، ولأن الموت سيلحق بهم لا محالة ، وذلك عندما ينتهي الأجل وتذبل زهرة الحياة ، عرفوا ذلك وأدركوه وعرفوا مع هذا أن هناك بعثًا ، وأن ربنا سيجمع عباده ويحاسبهم على أعمالهم ، ويسألهم عن تصرفاتهم في دنياهم ، وأن كل ما صدر عنهم مدون لديه ومحصى عليهم ، عرفوا كل ذلك حق المعرفة ، فسخروا دنياهم في طاعة ربهم ، واستخدموها فيما يعود عليهم بالنفع في آخرتهم ، عرفوا أن الدنيا تافهة وأنها ما هي إلا مزرعة للآخرة ، فزرعوا فيها صالح الأعمال ، وجميل الخصال ، وحسن السلوك ، وعبدوا ربهم فيها كما أمر ، وأطاعوه حق الطاعة واضعين نصب أعينهم قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة ٧-٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[القارعة: ٦-١١] .

وقول الرسول ﷺ : « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .ومن هنا جدّوا في عبادة ربهم ، وأطاعوا أوامر خالقهم ، وحرصوا على مرضاة الله وعملوا على أن يحسنوا خلافتهم في الأرض وعلى أن يكونوا على مستوى المسئولية ، وفي الوضع الذي يرضى عنه الله .هؤلاء هم عباد الله الصالحون

الذين ذاقوا حلاوة الإيمان ، وأشرقت قلوبهم بأنواره ، والذين وطدوا صلتهم بالله ، وعكفوا على عبادته وطاعته ، وتقربوا إليه بالأعمال الصالحة ، فهم أحباب الله لأنهم استقاموا ، وهم أولياؤه لأنهم أحسنوا ، وهم أصفياؤه لأنهم أخلصوا ، وهم يستظلون بظل رحمته لأنهم سلكوا الطريق المستقيمة التي لا عوج فيها .. إن حليتهم الصلاح وهو قد طبعوا على عمل الخير ، وكانوا دائمًا على جادة الصواب ، وهم يجدون في هذا السلوك الطيب راحة نفسية ، وابتهاجًا قلبيا ، وانشراح صدر ، وليس هذا السلوك الحسن مع الله فحسب ، وإنما مع غير الله من الناس والحيوان ، هذه هي أخلاق عباد الله الصالحين ، وهي في القمة من المثالية ، وهذا هو تعامل الأتقياء من خلق الله ، وهو تعامل إنساني لحمته الوفاء وسداه المروءة ، وهذا هو سلوكهم الذي أهّلهم للمنزلة العالية والمكانة السامية عند الله والناس ، وإذن ففضل الله على الصالحين غامر ، ونعمه سابغة ، ورحمته واسعة ، وخيره عميم ، ولكي يحظى المسلم بفضل ربه ، وليكون في ظل رحمته ، وينجو من النار وأهوال يوم القيامة ولكي يكون ممن أنعم عليهم الله ، لكي يصل إلى ذلك كله ، عليه أن يعيش في جو الطاعة لله ، ويطبق تطبيقا كاملا وأمينا قوانين السماء ، وينفذ بدقة وإخلاص أوامر الله ، ويسعى دائما نحو الخير ، وينقي قلبه من أوضاع الشر وأدران الذنوب وأن يكون مثالي السلوك ، نموذجي العبودية لربه ، نبيل الهدف في حياته ، هذا هو طريق النجاح ، وسبيل الفلاح، فعلينا ـ نحن المسلمين ـ أن نصحح مسيرة حياتنا، وأسلوب تعاملنا مع ربنا ومع غير ربنا من أبناء جنسنا ، علينا أن ننهج نهج الصالحين ونسير على دربهم ، ونقتدي بهم في سلوكهم ، إذ أنهم مصابيح مضيئة ، وهم الأسوة الحسنة ، في المعرفة بالله والإيمان العميق والخلق العالي الفاضل ، والأمانة في كل الميادين ، والصالحون موجودون في كل عصر وفي كل قطر إسلامي ، ولا يخلوا منهم زمان أو مكان ، وسيظل هذا الصنف من الناس موجودًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فاللهم اجعلنا من عبادك الصالحين ووفقنا إلى ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد انتهينا من الحديث عمن أنعم الله عليهم ، أولئك الذين هدوا إلى الصراط المستقيم ، ورضي عنهم رب العالمين ، ونحن المسلمين ندعوا الله في صلاتنا أن يوفقنا للسير على طريقتهم ، والنسج على منوالهم ، لنكون في زمرتهم ، ونحظى بالخير العظيم مثلهم .

ثم يأتي بعد ذلك الحديث عمن غضب الله عليهم ، ومن هم المغضوب عليهم ؟ الذين لا نريد أن نكون على طريقتهم ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] ، ومن هم أولئك الذين بعدوا عن رحمة الله؟ إنهم الكفار اليهود من بني إسرائيل ، هؤلاء الذين لم يستجيبوا لدعوة الخير ، ولم يسلكوا طريق الحق والتوحيد ، وعاشوا في ظل الكفر وتحالفوا مع الباطل ، وانغمسوا في حمأة الرذيلة وانحرفوا في مسيرة الحياة ، وانساقوا وراء الشيطان الذي قادهم إلى بؤر المعاصي ووهاد الشرك ، وامتدت أيديهم بالسوء إلى رسل الله الذين يدعونهم إلى طريق الخير ، فهم متمردون عاصون ، وبالله كافرون وعلى رسل الله معتدون، وهم لا ينتهون عن منكر فعلوه ، وقد استحقوا بهذا السلوك الإجرامي الشيطاني غضب الله ومقته ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بالخزي وسخط الله عليهم ، ولعنهم ربهم وأعد لهم جهنم وبئس المصير ، إنهم تمردوا على موسى عليه السلام وعبدوا العجل وانصرفوا عن عبادة الله وقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، وهم سارعوا إلى الإثم والعدوان وأكلوا السحت ، وهم الذين قالوا يد الله مغلولة وسعوا في الأرض بالفساد ، وهم الذين رفضوا الطعام العظيم وهو المن والسلوى ، وكان ذلك فضلا من الله ونعمة لهم لكنهم طلبوا الأدنى من الطعام ، والهدف هو الرغبة في التغيير ليس إلا ، والمخالفة والعصيان والانحراف .

فهم لا يحبون إلا السير في طريق الاعوجاج ولا يرغبون إلا فيما يضر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الصنف من الناس في كثير من الآيات ، وسجل عليهم تصرفاتهم ونعتهم بأسوأ النعوت ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[البقرة :٦١] .

إنهم مع ما أنعم الله به عليهم من خيرات ، وما حباهم به من فضل ونعم ، كفروا وانحرفوا وعصوا وحادوا عن جادة الصواب ، وحدثت منهم تصرفات سيئة ، وأعمال شائنة ، وأفعال شريرة ، تدل على خبث طويتهم ، ولؤم طباعهم، وظلمة قلوبهم ، وهم بهذا ظلموا أنفسهم ، وصدق ربنا حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾[البقرة : ٥٤] .

وحيث قال: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة : ٥٥] .

وحيث قال: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[النساء : ١٦٠-١٦١] .

وسجل القرآن الكريم عليهم أيضا شناعة تصرفاتهم وبشاعة أعمالهم وذلك في قول الله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا

﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا
تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء : ١٥٣-١٥٨] .

وحيث قال سبحانه : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[المائدة : ٦٤] .

آيات كثيرة من كتاب الله تبارك وتعالى ، تتحدث عن سوء تصرفات اليهود وقبح أعمالهم وتبين مواقفهم الشريرة وسلوكهم الفاضح ، وتحكي عنهم أقوالهم الشاذة وأفعالهم الشائنة ، وتتناولهم بأقبح الصفات وأبشع النعوت ، وتسجل عليهم انحرافهم وعصيانهم ، وتذكر لنا تاريخهم الأسود في جميع حقب التاريخ ، فتاريخهم مملوء بالفضائح ، زاخر بالانحرافات ، مفعم بالالتواء والاعوجاج ، مع ربهم ومع رسل ربهم ، مع أنفسهم ومع غيرهم ، فكلهم شر وبلاء ، وهم أعداء الله وأعداء رسله ، وكذلك الإنسانية جمعاء ، إنهم في كل زمان ومكان يثيرون الفتن ، ويسعون بالفساد والشر ، وهم أنانيون متجردون من القيم الخلقية والفضائل الإنسانية ومواقفهم التي سجلها القرآن الكريم تشهد عليهم ، وتقيم الحجة على أنهم أخساء ، وأنهم ماكرون أشرار ، هؤلاء هم اليهود الذين غضب الله عليهم ولعنهم ، لمواقفهم الشريرة وكفرهم بربهم وقتل أنبيائه ، إنهم أناس لا خلاق لهم ، ولا ضمائر حية لديهم ولا نفوس طاهرة عندهم ، إنهم

أحقر خلق الله ، وأسوأ عباد الله ، وما أوخم العاقبة التي تنتظرهم ، وما أسوا المصير الذي أعده الله لهم ، والله الذي يملك أمور خلقه ، قد بين مصيرهم في كتابه الكريم وهو جهنم وبئس المصير .

فاللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم . وإلى لقاء إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فلا يزال الحديث متواصلا عن المغضوب عليهم من الله ، وهم اليهود الذين طبعوا على الشر واتصفوا بالخسة ، وفقدوا المقومات الإنسانية ، وقد تناولهم القرآن الكريم في كثير من سوره وآياته ، وسجل عليهم لعنة الله وغضبه في مواضع كثيرة ، ولشدة غضب الله عليهم انتقم الله منهم في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وأكبر وأنكى ، وتلك آيات وردت بشأنهم ، وتحدثت عنهم في صورة منفرة ، فهذا قول الله تعالى : ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٢]. وتلك الآية من سورة آل عمران ، وقد ورد في سورة البقرة مثل ذلك ، من غضب الله عليهم وذلتهم ومسكنتهم ، وذلك لكفرهم بآيات ربهم وعصيانهم واعتدائهم وقتلهم الأنبياء بغير حق ودونما مبرر، وهذا التكرار يدل على شدة توغلهم في الشر ، وكثرة تناولهم السوء ، وعلى أنهم أحط الناس خلقا ، وأقبحهم تصرفا وسلوكا، وفي سورة المائدة تتحدث الآيات عن لعنة الله لهم وغضبه عليهم ، وأنهم قردة وخنازير وعباد للطاغوت ، وأنهم شر مكانًا وأضل عن سواء السبيل ، كما تتحدث عن نفاقهم وكفرهم وسوء طويتهم وأكلهم السحت ومسارعتهم إلى الإثم والعدوان ، وذم أعمالهم وتصرفاتهم ، وذلك في قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا**

وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[المائدة: ٦٠-٦٣] .

ثم إنهم نسبوا الولد إلى الله ـ وحاشا لله أن يكون له ولد ـ وهذا هو القرآن الكريم يقول عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة : ٣٠] .وهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ولهذا لن يخفف الله عنهم العذاب ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

فالآيات القرآنية تناولت اليهود كثيرا في كتاب الله ، مسجلة عليهم شرهم وفسادهم وخبثهم ونفاقهم وكفرهم وعصيانهم ، ومن هنا كان تاريخهم أسود من القار وحياتهم مجللة بالعار ، فهم صورة سيئة للإنسانية في كل عصر من العصور ، وهم مجرمون مع الله ومع رسل الله ، وقد عاني رسول الله محمد ﷺ منهم ، وامتد شرهم إليه وإلى المسلمين ، فهم كذبوه ولم يؤمنوا به مع أنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين . وتكذيبهم إياه ناشئ عن الحسد والعناد ، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة ٨٧- ٩٣] .

فهذه الآيات قد كشفت عن دخيلة اليهود ، وأزاحت الستار عن حقيقتهم ، وفضحت تصرفاتهم ، ليس على موسى عليه السلام فحسب ، ولكن مع كل من جاءهم بعده حتى محمد ﷺ ، فموقفهم موقف استكبار وعناد وحسد ، وقد حملتهم تلك الصفات الخسيسة الحقيرة على التكذيب والقتل ، وعلى عبادة الحيوان الأعجم ، والانصراف عن عبادة الرب الذي خلقهم وأسدى إليهم نعمه ، إنه الجهل الفاضح ، والعصيان الواضح ، وإنه السلوك الشائن ، والانحراف عن الخط المستقيم ، والانحدار إلى القاع ، وهم بالإضافة إلى تكذيبهم محمدًا ﷺ ، وعدم إيمانهم بما جاء به من عند الله كانوا خطرا على الإسلام والمسلمين ، فعندما انتصر المسلمون على الكفار في غزو بدر ، حزنوا أشد الحزن، وأخذوا يتحركون هنا وهناك ، ويتصلون بكفار قريش لتحريضهم على الحرب ضد رسول الله ﷺ ، والأخذ بالثأر منه ، ومحاصرة دعوته والقضاء عليها وعليه، وصاروا يكيدون للإسلام والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب ، ويطعنون في الدين الإسلامي ، ويذمون رسول الله ومن معه ، وعملوا على بث الفتن والدسائس وتدبير المؤامرات ، ولما هزم المسلمون في غزوة احد ، فرحوا كل الفرح ، وانتهزوها فرصة لبث الشك في نفوس المسلمين ، وقالوا عندئذ : لو كان محمد نبيا لما انتصر عليه المشركون ، ولا أصيب بما أصيب به ، وأكثروا من الكذب والإشاعات ، وحاولوا الغدر بالنبي وقتله ، لكن الله حفظ رسوله من غدرهم ومكرهم ، وكان لهم دور كبير في تجميع المشركين والأعراب ضد

المسلمين في غزوة الأحزاب ، لكن رسول الله ﷺ لقنهم الدرس القاسي ، واستطاع أن يرد كيدهم إلى نحورهم ، ويتخلص من شرهم ، وينتصر عليهم وعلى غيرهم ممن وقفوا ضد الإسلام والمسلمين ، فهم أعداء الله في كل زمان ومكان ، وهم شر وبلاء أينما كانوا ، ونحن المسلمين قد عانينا منهم الكثير ، والتاريخ شاهد على ما اقترفوا ويقترفون من جرائم وحشية ، وأعمال إرهابية ، ومذابح جماعية ، وقد بين القرآن الكريم أنهم أعداؤنا ، حيث قال رب العزة في كتابه الكريم : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢] .

هذا هو موقف المغضوب عليهم ، وتلك هي سماتهم ، وهذا هو سلوكهم ، وإلى لقاء إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الخامسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد تحدثنا بإيجاز شديد عن المغضوب عليهم ، والحديث عنهم يطول ويطول، والآن نتحدث عن الضالين وهم النصارى وهؤلاء أيضا قد وقفوا مواقف سيئة ، فمن كفر بالله ، ومن نسبة الولد إليه ، ومن محاربة الإسلام ، فهم امتداد طبيعي لليهود ، والاتجاه هو نفس الاتجاه ، والسلوك هو نفس السلوك ، غير أن النصارى يختلفون عن اليهود في أنهم ليسوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فهم أقرب الناس مودة لهم كما قرر القرآن الكريم ، وهذا هو قول الله تعالى:﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ** ﴾[المائدة ٨٢-٨٣].

ولنستعرض بعض ما جاء في القرآن الكريم لنرى أن النصارى قد كفروا بربهم ، حيث إنهم قالوا إن المسيح عيسى بن مريم هو الله ، مع أن عيسى عليه السلام قد تبرأ من ذلك وأخبرهم أن المعبود هو الله ، وانه لا معبود بحق إلا الله ، ثم إنهم قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وحاشا أن يكون الإله كما قالوا ، فهو ليس عيسى ، وهو لم يكن ثالث ثلاثة ، وإنما هو واحد أحد ، فرد صمد ، وهو سبحانه لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهذا هو قول الله تعالى في هذا الشأن ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى**

وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة ٧٢-٧٤].

وقد بين القرآن الكريم أن عيسى الذي اتخذوه إلها ، ما هو إلا رسول من البشر قد خلت من قبله الرسل ، وأنه إنسان حادث وقد ولدته أمه مريم وأنه كان إنسانا يأكل الطعام ، وأن هذه الأعراض البشرية تتنافى والألوهية ، ثم يستفهم القرآن استفهاما إنكاريا ، ويذكر أنهم يعبدون من دون الله مالا يملك لهم ضرا ولا نفعًا ، وأنهم يتخبطون في عقيدتهم كل التخبط ، حيث إن الله وحده هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، لأنه سبحانه هو الخالق القادر ، النافع الضار العالم بكل شيء المالك لكل شيء ، وفي هذا يقول رب العزة جل شأنه: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [المائدة ٧٥-٧٦] .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يبين مغالاة أهل الكتاب وانحرافهم وتوجيه الأمر إليهم بالاستقامة في عقيدتهم وألا يقولوا على الله إلا الحق ، وما يقرر بأن المسيح عيسى بن مريم رسول وليس بإله ، وأنه إنسان مرسل من عند الله ، وأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأنه مادام الأمر كذلك ، فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا بالله ، وألا يشركوا به شيئا وان تكون عقيدتهم صافية خالية من شوائب الشرك بالله ، وأن يؤمنوا كذلك برسل الله ، ويتقبلوا ما جاءوا به من عند الله ، وأن يكفوا عن عقيدة التثليث ، وينتهوا عن ذلك الوضع السيئ الذي ألفوه ، وتلك العقائد الفاسدة التي مارسوها ، وبهذا يجدون الخير ، وينالون الرضا من الله ، ثم يؤكد القرآن الكريم على أنه لا إله إلا الله ، وأنه سبحانه

وتعالى واحد لا شريك له ، وهو منزه عن أن يكون له ولد ، وكل ما في السموات والأرض مملوك له سبحانه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[النساء: ١٧١] .

ويقرر القرآن الكريم كذلك ، أن عيسى عبد من عباد الله ، وان الملائكة كذلك من عباد الله ، وأنه وهم لن يستنكفوا عن أن يكونوا عبادًا لله ، وأن من يستنكف عن عبادة ربه ويستكبر ويعاند فإنه سيحشر ويعاقب ، في يوم شديد الأهوال ، عظيم الأخطار ، قال تعالى : ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾[النساء: ١٧٢] .

وها هو كتاب الله تعالى ، يقرر أن ربنا يقول لعيسى عليه السلام ، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، فيقول عيسى عليه السلام لربه ، سبحانك ربي ، أنت وحدك لا إله إلا أنت ولا شريك لك ، وأنا ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، وليس لي أن أقول ما ليس لي بحق ، وإن قلت لهم بان يتخذوني وأمي إلهين من دونك ، فأنت أعلم بذلك وأنت علام الغيوب ، وإني ما قلت لهم إلا أن يعبدوك وحدك كما أمرتني وأنت ربي وربهم وخالقى وخالقهم وكنت شهيدا عليهم مدة وجودي بينهم ، ولما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت سبحانك عالم بي وبهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ

أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [ المائدة :١١٦-١١٧].

وها هو ذا عيسى عليه السلام قال لقومه إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، وبشرهم بالرسول الخاتم محمد ﷺ وانه يجب عليهم أن يتبعوه ويؤمنوا به ، ولكن لما جاء محمد بالبيّنات قالوا له ، هذا سحر مبين ، وافتروا على الله الكذب حين دعوا إلى الإسلام ، وبهذا ظلموا أنفسهم كل الظلم ، وهم بهذا الموقف أرادوا إطفاء نور الله ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون وقد أرسل ربنا محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ودين الإسلام هو الدين الخاتم ، ومن يبتغ غيره فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[ الصف: ٦-٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥]

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فلا زلنا مع الحديث عن الضالين ، ومع أهل الكتاب بوجه عام ، حيث إنهم جميعا يهود أو نصارى قد حاربوا الإسلام ، وهم لا يضمرون للمسلمين سوى الشر ، ومن أجل هذا نهى الله المؤمنين عن اتخاذ هؤلاء أو أولئك أولياء ، حيث إن بعضهم أولياء بعض ، ولأنهم متعاطفون مع بعضهم ، متعاونون فيما بينهم، وأما مع المسلمين فهم ليسوا كذلك ، وقد أخبر ربنا المؤمنين بأن من يتولهم فإنه منهم ، وهو خارج عن الخط المستقيم ، حائد عن تعاليم رب العالمين ، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[المائدة : ٥١ ].

فربنا الذي يعلم ما تكنه القلوب ، وما تنطوي عليه النفوس ، وما تخفيه الصدور ، يعلم ما تضمره نفوس اليهود والنصارى من شر للمؤمنين ، وما تنطوي عليه قلوبهم من سوء ، فهم أعداء الإسلام ، وهم لا يودون للمسلمين الخير ، وتأتي آية أخرى من كتاب الله لتبين أن أهل الكتاب والكفار قد اتخذوا دين الإسلام هزوًا ولعبا ، وتحذّر كذلك من موالاتهم والسير في ركبهم ، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[ المائدة : ٥٧-٥٨].

وأهل الكتاب يودون للمسلمين الارتداد عن دينهم ، ويريدون لهم الخروج من دائرة الإيمان ، والرجوع إلى حضيض الكفر ، وذلك كله ناشئ عن الحسد الذي أكل قلوبهم ولاختيار محمد ﷺ من بين العرب ليكون رسولا ، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ

عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[ البقرة : ١٠٩] .

وإنه لمن العجب العجاب أن يدعي اليهود والنصارى أنهم أبناء الله ، وسبحان الله أن يكون له أبناء ، إنه الجهل قد حملهم على أن يفتروا هذه الفرية، ويدّعوا هذا الادعاء الكاذب ، وإنه الكفر الذي هو واضح وضوح الشمس ، ثم هم قالوا كذلك ، إنهم أحباء الله ، وأحباء الله ليسوا مثلهم ، إنهم أولئك الذين يؤمنون بالله وبغير ذلك من عناصر الإيمان ، وهم أولئك الذين يحسنون سلوكهم مع الله ومع رسل الله ، ويحترمون أوامر السماء وينفذون ما وجب عليهم نحو الله ، ويخشون المعاصي ويبتعدون عن السيئات ، ويكونون نماذج عالية في حسن الصلة بالله ، هؤلاء هم أحباب الله حقا ، ولهم المستقبل العظيم يوم لقاء الله ، أما أولئك الذين وقفوا من الرسل مواقف شيطانية ، وافتروا الكذب على ربهم ، وتمادوا في عصيانهم ، فهم ليسوا أحباء الله ، وإنما هم أعداؤه ، لأنهم ليس لديهم شيء من مقومات الإيمان ، ولهذا دحض القرآن الكريم فريتهم ، وبين أنهم مستهدفون لعذاب الله ، بسبب ما ارتكبوا من ذنوب وما اقترفوا من سيئات ، ولما صدر عنهم من مواقف تغضب الله رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[ المائدة : ١٨] .

كما أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، زعموا أن الجنة ونعيمها مقصورة عليهم ، وأنه لن يدخل الجنة غيرهم ، ولن ينال أحد رحمة الله إلا هم ، أما من عداهم من الناس فالجنة عليهم محرّمة ، تلك هي أمانيهم ، وهذا هو زعمهم الباطل ، لكن القرآن أفحمهم ورد عليهم هذا الزعم ، وطلب منهم إثبات ما قالوا بالبرهان ، ومن أين لهم أن يأتوا به ؟

وتحداهم ورد عليهم ادعاءهم ، وبين القرآن أن الجنة لهؤلاء الذين أسلموا وجوههم لله ، وانقادوا لربهم وأذعنوا وآمنوا ووحدوا ، وصدّقوا رسله ولم يشركوا ، ولمن يحسنون السلوك ولم يتخبطوا في عقيدتهم ، وأن هؤلاء المؤمنين

المحسنين المنقادين لربهم ، لن ينالهم الخوف ولا يلحقهم الحزن ، وعن هذا يقول القرآن الكريم:﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[ البقرة :١١١-١١٢] .

وأهل الكتاب قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ، وقد كذبوا فيما قالوا ، وهل بينهم وبين الله عهد على ذلك ؟ ، إنه لا عهد بينهم وبين الله ، وهم بهذا القول يقولون على الله ما لا يعلمون ، بل إن القرآن الكريم بين أن الذين يفعلون السيئات ، وتحيط بهم الخطايا ، تكون النار مثواهم ، ويخلدون فيها ولا يخرجون منها ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة : ٨٠-٨١] .

واليهود والنصارى قد أشركوا بالله ، ومن يشرك بربه فلا مغفرة من الله له ، إن هؤلاء وأولئك قد نسبوا الولد إلى الله ، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، وهؤلاء وأولئك عبدوا غير الله ، والعبادة لا تكون إلا لله وحده ، وهؤلاء وأولئك رفضوا دعوة الإسلام ، وتطاولوا بألسنة حداد على الله وعلى رسل الله وهؤلاء وأولئك قد ضلوا سواء السبيل ، وبعدوا عن جادة الصواب ، وربنا لا يغفر لمن كان كذلك ، ولا يشمل برحمته من يقف موقف العداوة من دعوة السماء ، ويتمادى في الشرك والضلال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[ النساء :١١٦] .

ثم إن اليهود قد حرفوا كل التحريف التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام وغيروا وبدلوا حسب أهوائهم وأمزجتهم ، وكذلك النصارى امتدت أيديهم بالسوء والتحريف للإنجيل كتاب عيسى عليه السلام ، وشوهوه وأساءوا إليه ، وهذا

التحريف والتغيير من جانب الفريقين ، دليل على عدم اتصافهم بالأمانة ، وبرهان على سوء سلوكهم ، وعلى أن هؤلاء وأولئك ليسوا محلا للخير ، فهم حرفوا الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[ البقرة : ٧٩] .

والقرآن قد تحدث عن تحريف أهل الكتاب صراحة ، والواقع يؤكد ذلك كل التأكيد ، قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [ المائدة : ١٣ ] .

والقرآن الكريم قد تحدث عن كل ما حدث من اليهود والنصارى من انحراف وتحريف ، وعداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ « آمين » [ الفاتحة : ٦-٧] .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة السابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فها نحن أولا قد عشنا في رحاب سورة الفاتحة ست عشرة حلقة ، ورحابها أوسع من ذلك وأكبر ، وهي تشتمل على ثروة ضخمة من المعاني ، وتحتوي على أسرار عظيمة لا يستطيع العقل العاجز الإلمام بها والكشف عنها وليس في مقدور علمنا المحدود الضئيل الوصول إلى أعماق ما تنطوي عليه تلك السورة من أسرار ، وفي هذه الحلقة التي معنا ، نحاول استنباط بعض الدروس والعبر منها ، لكي تكون هادية لنا في مسيرة حياتنا ، ومشعلا مضيئا لطريقنا ، ومن هذه الدروس التي تستنبط ، استحقاق ربنا للحمد المتواصل من جانبنا ، وفاءً منا له على نعمه الزاخرة وآلائه المستمرة وتجسيد هذا الحمد في صورة عملية ، بحيث يكون ذلك تعبيرًا حقيقيا إزاء فضل الله علينا ، وتتمثل تلك الصورة العملية للحمد لربنا في تطبيق تعاليمه تطبيقًا مخلصًا وأمينًا ، وفي تنفيذ كل الأوامر الإلهية تنفيذًا دقيقًا ، وفي البعد عن اقتراف السيئات وفعل المحرمات ، وبهذا الحمد الإيجابي العملي ، يكون الرضا الرباني ، فينال الإنسان به الخير من ربه في الدنيا والآخرة .

**ومن الدروس المستفادة من هذه السورة** :مثالية التربية الإلهية ، فربنا قد ربانا على موائد بره وخيره وكرمه ، وهذه التربية ليس فيها ما يشوه جمالها وكمالها ، لأنها تربية الرب العظيم المنعوت بكل كمال ، إنها تربية خالية من القسوة ، موضوعة في إطار الكمال والجمال ، أما تربية الإنسان للإنسان فهي تربية ناقصة وهي لا تخلوا مما يشوهها ، حيث إنها تتسم بالقسوة في بعض الأحيان ، والعنف الذي يخدش جمالها في كثير من الأوقات ، ولابد أن تكون تربية الإنسان ذات نقص لأنه إنسان ، وفي الوقت نفسه يكون الفرق واضحا بين تربية الله وتربية الإنسان ، وتربية الله لنا بهذه الصورة المشرقة الجميلة ،يدل عليها قول الله

تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بعد قوله سبحانه ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فهي تربية مبنية على الرحمة الإلهية ، الرحمة التي وسعت كل شيء ، انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[ الأعراف : ١٥٦] الرحمة العامة الشاملة لجميع الخلق في السموات أو في الأرض ، وكما عامل ربنا خلقه بالرحمة ، فهو سبحانه يريد منهم أن يكونوا رحماء فيما بينهم ، متعاونين متآزرين، متآلفين متحابين ، وأن تسود الرحمة أجواء حياتهم وشتى معاملاتهم .

**ومن الدروس المستفادة أيضا:** أن ربنا الذي وصف بالرحمة ، هو كذلك موصوف بكل صفات الكمال ، منعوت بكل ما يليق بذاته الكريمة ، وفي المقابل هو منزه عن كل مالا يتفق مع مقام الألوهية ، ويتنافى مع الربوبية ، فهو سبحانه ليس عاجزًا ولا ضعيفا ، ولا أصم ولا أعمى ، ولا أبكم ولا جاهلا ، ولا يلحقه فناء ولا يعتريه عيب ، وإنما هو سبحانه قوي قادر ، سميع بصير ، متكلم عالم ، حي دائم الحياة سرمدي الوجود ، منزه عن كل عيب ونقص ، أما الإنسان فهو غير كامل ، وهو محل للنقص ، مستهدف للعيوب الخِلْقِية والخُلقية ، وهو عاجز ضعيف ، وقدرته محدودة ضئيلة ، وهو وجد من العدم وسيعود أيضا إلى العدم ، وذلك بعد انتهاء أجله الذي حدده ربه وقدّره خالقه ، ومن دروس تلك السورة ، أن الملك الحقيقي المطلق لله وحده ، فهو سبحانه مالك كل شيء في الدنيا ، مالك السموات والأرض مالك الإنسان والحيوان ، مالك البحار والأنهار ، مالك الثروات كلها ، مالك جميع النعم ، لأنه هو الذي أوجد كل شيء ، وخلق هذا الكون كله ، والخالق لابد أن يكون مالكا لما خلق ، وهو سبحانه مالك يوم الدين ، مالك أمر الآخرة ، مالك كل شيء فيها ، كما هو الشأن بالنسبة للدنيا ، هو مالك يوم القيامة ، لأنه الذي سيبعث الخلق ، وهو الذي سيجمعهم للحساب ويجازيهم على أعمالهم ، ويدخل الجنة من كان طائعًا له في دنياه ، ويدخل النار من كافرًا به عاصيًا له ، إن الملك لله وحده ، أما الإنسان فملكه مجازي وليس حقيقيًا ، إنه لا يملك روحه التي في جسده ، ولا يملك مصيره و مستقبله بدليل أنه خرج من بطن أمه عاريًا غير مالك لشيء ، وبدليل أنه بعد أن يموت لن يأخذ شيئا معه إلى قبره مما كان تحت يده في دنياه فالملك لله وحده

دون سواه ، وهو المالك الحقيقي لكل شيء في الدنيا وفي الآخرة .

**ومن دروس سورة الفاتحة** : اختصاص الخالق بعبادة المخلوقين له دون سواه ، لأنه هو الإله القادر العزيز الجبار المالك ، فأي عبادة لغير الله فهي كفر ، وأي عبادة له ولغيره فهي شرك ، وهذا أو ذاك يؤديان إلى نار جهنم ، وعبادة الله هي الخضوع والانقياد له ، وطاعته الخوف منه ، والتحلي بتقوى الله في كل زمان ومكان ، والعمل الصالح من صلاة وصيام وحج وغير ذلك مما أمر به الله، والابتعاد عن كل ما يدنس الإيمان من المعاصي والموبقات .

**ومن الدروس التي في هذه السورة** : الاستعانة بالله لأنه هو المعين ، الاستعانة به في الأمور الدينية والدنيوية ، فهو المعين على أداء عبادته ، وهو المعين على تحقيق الآمال الدنيوية والأخروية ، وهو سبحانه الملجأ والمنقذ ، فمن لجأ إلى ربه سعد ، ومن اعتمد على خالقه نجح ، ومن استعان به أعانه ، ومن استجار به أجاره ، ومن تحصن بحصن الله نجا من المهالك .

**ومن الدروس المستفادة أيضا** : اللجوء إلى الله بالدعاء ، والدعاء عبادة ، والله يحب عباده الذين يدعونه ويلجئون إليه ، ويرفعون أكفهم إليه بالضراعة والابتهال ، وهو سبحانه قريب من عباده الداعين ، وهو يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[ البقرة : ١٨٦] ، ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[ غافر : ٦٥] .

**ومن دروس تلك السورة** : أن يكون الدعاء بخير ، وان يسلك الإنسان طريق الاستقامة ، إذ أن الاستقامة فيها النجاح دنيا وأخرى ، وهي معراج الخير والفلاح ، وبها يسمو الإنسان ويعلو شأنه عند الله وعند الناس ، ويصل إلى درجة الصفاء الروحي والشفافية فيه والقرب من الله .

ومن الدروس أيضا الاقتداء بعباد الله الصالحين ، والتأسي بالعارفين به ، والسير على درب المتقين ، والبعد عن الأشرار من الخلق ، واجتناب ذوى السلوك السيئ ، والجليس الصالح خير من الجليس السوء كما ورد عن رسول الله ﷺ .

**ومن الدروس كذلك** : أن يعيش الإنسان في ظل العقيدة الصحيحة ، عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى ، وان ينبذ ما عدا ذلك من عقائد فاسدة ، إذ أن عقيدة التوحيد هي العقيدة السليمة ، التي تنجي صاحبها من نار جهنم ، وتقوده إلى طريق الجنة والنعيم فيها ، والله سبحانه هو المعبود بحق ، لأنه النافع الضار ، المالك لكل شيء ، وما سوى الله لا يملك نفعًا ولا ضرًا ، وكل ما عدا الله مخلوق لله تبارك وتعالى .

تلك هي سورة الفاتحة التي نتلوها في صلاتنا، إنها مليئة بالدروس الهادفة وقد أمرنا بقراءتها كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة ، ونتلوها أيضا في نوافل الصلاة ، وذلك لتكون دروس تلك السورة ماثلة أمام أعيننا دائما ، ولكي تكون ملكة التقوى في نمو مطرد ، ولتسمو أرواحنا باستمرار ، ولتكون الصلة بخالقنا حية قوية .. هذا وبالله التوفيق .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثامنة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد بدأ رب العزة جل شأنه سورة البقرة بقوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴾[ البقرة : ١ ] وهذه البداية بهذه السورة منطوية على أسرار لا يصل إليها علمنا المحدود ، وعندئذ نقول الله أعلم بمراده ، وإما أن تكون واردة في معرض الإعجاز القرآني والتحدي ، وإما أن تكون للقسم ، والمقسم عليه ما يأتي بعد تلك البداية ، وقد جاء بعد هذا الافتتاح لتلك السورة قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[ البقرة : ٢] .

وفي هذه الحلقة يتركز الحديث عن ذلك الكتاب وعن موقف كل من المؤمنين والكافرين حياله ، والكتاب هو القرآن الكريم الذي أنزله الله تبارك وتعالى على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ ، وموقف المؤمنين تجاه هذا الكتاب الإلهي ممثل في الإيمان العميق بأنه كلام الله لا من كلام البشر ، وان جبريل عليه السلام جاء به من عند الله وبلغه إلى محمد ﷺ ، فهم مؤمنون به دون أن يخالج قلوبهم أدنى شك في ذلك ، وهم مصدقون كل التصديق بكل ما جاء به هذا الكتاب ، فهو إيمان جازم لا يشوهه ريب ، وتصديق كامل لا يشوبه تردد ، وهكذا نجد المؤمنين لم يقفوا موقفا فيه انحراف ، ولم يكونوا سلبيين أمام تلك المعجزة ، وإنما كانوا ذوي إيجابية إيمانية ، وتسليم بان هذا الكتاب من عند الله وأنه ليس من نسيج البشر ، ولا من كلام الإنسان ، حيث أنهم قد لمسوا الفرق واضحا بين كلام الخالق وكلام المخلوقين ، وقد أدركوا إعجازه وما يرمي إليه من إسعاد الإنسانية ، وقيادتها إلى حيث النور والخير ، والأخذ بيدها إلى شاطئ النجاة والأمان. أدركوا هذا كله فآمنوا ، ومس القرآن الكريم شغاف قلوبهم فصدّقوا ، وعاشوا في رحابه وتحت ظلاله ، فهم به يهتدون ، ولأوامره يمتثلون ، ولما نهى عنه

يبتعدون ، ولما حث عليه من فضائل يتحلوْن ، ولما رسم من حياة مثالية يضعون أنفسهم في إطارها ، إنه الإيمان والعمل ، والتصديق وحسن السلوك ، ولا شك في أن هؤلاء المؤمنين سيجدون في الآخرة أسمى المكافآت من الله ، وسينالون الخير كله يوم لقاء الله .

إن هذا القرآن الكريم الذي آمن به أحباب الله ، هو كتاب الله الأسمى ، وشرعه الأكمل ، وقد انزله ربنا على رسوله محمد ﷺ بلسان عربي مبين ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾[الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وقد اختار الله لكل نبيّ معجزة من جنس ما برع فيه قومه ، فموسى عليه السلام من معجزاته معجزة إبطال السحر ، وكان قومه قد برعوا في هذا الميدان ، وعيسى عليه السلام من معجزاته معجزة الطب ، وكان قومه قد مهروا في هذا المجال ، ومحمد ﷺ من معجزاته معجزة القرآن وكان قومه سادة الدنيا فصاحة ، وأبلغ الناس بيانًا ، وقد نزل القرآن على النبي وهو ذلك الذي كان أميا ، ولم يسبق له أن خط حرفا ، ولم يقرأ كتابًا ، ولم يجلس أمام معلم ، نزل عليه القرآن وهو ذلك الأمي ليكون أبين إعجاز وأبلغ دلالة على أنه موحى به من الله تبارك وتعالى ، وقد بلغ هذا الكتاب القمة بل فوق القمة ، في جزالة التعبير ، وقوة البيان ، وروعة الأسلوب ، وسمو الهدف ، وقوة التشريع ، مما عجز عن مجاراته الفصحاء والبلغاء ، والمشرعون والحكماء ، فهو اكبر معجزة لمحمد ﷺ ، والمعجزة أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد رسول من رسله ، ليكون ذلك دليلا على أنه مرسل من عند الله ، وأنه صادق فيما يقول ، وليس مفتريا ولا مدعيا ، ولا كاذبًا ولا غاشًا ولا مخادعًا ولا صاحب نفعٍ ذاتي ولا غرض شخصي .

وماذا كان موقف الكفار تجاه هذا الكتاب الخالد ؟ أهم آمنوا به وصدقوا؟ أم هم ارتابوا وكذبوا ؟ إن الإجابة عن ذلك قد تكفل ببيانها ذلك الكتاب ، وقد سجل ربنا فيه ما حدث من أولئك القوم ، فهم لم يؤمنوا به ولم يصدقوا ، وقد ارتابوا وعاندوا ، ووصفوه بالسحر ، وقالوا عنه إنه افتراء وساقوا حجة واهية حيث قالوا :﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾[ الزخرف : ٣١] .

ولم يدركوا أن الله يجعل رسالته حيث يشاء وحسبما يريد ، وقد تحدى القرآن الكريم

هؤلاء الكفار أن يأتوا بمثله ، وجاء هذا التحدي في مواطن كثيرة منه ، من ذلك قول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [ البقرة ٢٣-٢٤ ] .

وقوله تعالى في سورة هود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [ هود : ١٣ ] .

وقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [ الإسراء : ٨٨ ] .

وهكذا تحداهم القرآن كل التحدي ، وعرّاهم وأفحمهم ، وبين لهم عجزهم وضعفهم ، وسوء موقفهم منه وممن أنزل عليه وهو محمد ﷺ .. إن القرآن الكريم كلام الله ما في ذلك شك ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ وهؤلاء الذين ارتابوا فيه لم يكن موقفهم نابعا من عقول متزنة ، ولم يكن مبنيا على حجة مقبولة ، وإنما هو العناد وسوء الفهم ، والكفر والمغالطة . إن القرآن قد أعجزهم عن مجاراته ، بل بهرتهم بلاغته وفصاحته ، وروعة تأثيره وقوة بيانه ، سواء في ذلك من شرح الله صدره للإسلام ، أو من جعل على بصره غشاوة ، ففي إحدى روايات إسلام عمر ﷺ يقول عن نفسه: « لما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت وأدخلني الإسلام » ، والوليد بن المغيرة الذي تولى وكفر ، حين سمع القرآن أتى مجلس قومه وقال لهم : « والله لقد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه » .

فالقرآن الكريم بإعجازه وفصاحته وبلاغته ، قد بهر كل من سمعه ، ولكن التشبث بالكفر قد أضل من ارتابوا سواء السبيل .

وإنه لمن العجب العجاب أن يكون القرآن بهذه الصورة الوضاءة ، وان يحوي كل ما من شأنه أن يسعد الإنسان ، ويقوده إلى نور الإيمان ، ثم لا يحكّم هؤلاء الذين وقفوا منه هذا الموقف السيئ عقولهم ، ولا ينظرون النظرة الثاقبة ، ولا يفكرون التفكير السليم ،

وهم بهذا التصرف حيال كتاب الله ، قد برهنوا على أن قلوبهم غير فاقهة ، وأعينهم غير مبصرة ، وآذانهم لا يسمعون بها ، ومن كانوا كذلك فهم كالأنعام بل هم أضل ، ولابد من أن يلقوا سوء المصير ، ويستحقوا أشد العذاب من الله ، هذا كتاب ربنا ، أنزله على محمد ﷺ ، ليخرج به الناس من الظلمات على النور ، ويؤمن مستقبلهم في الآخرة ويجنبهم نار جهنم ، إنه خير من عند الله ورحمة ، وهو أعظم ثروة لأمة الإسلام ، بما حواه من تشريع عظيم ، وما أتي به من توجيه رباني حكيم . هذا وبالله التوفيق .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة التاسعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

ففي الحلقة السابقة كان الحديث عن كل من المؤمنين والكفار بالنسبة لكتاب الله تبارك وتعالى ، وهذه الحلقة التي معنا ، سنتناول بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، ومنها : فصاحة ألفاظه وبلاغة عباراته ، وهاهم أولاء فرسان الفصاحة ودهاقين البلاغة من العرب ، قد وقفوا عاجزين أمامه ، ضعفاء عن محاكاته ، وكل نص في هذا الكتاب العزيز ثري بالفصاحة والبلاغة ، وما أروع ما فيه من تشبيهات ودقة أمثال وقوة حجج ، وقد ألفت كتب كثيرة في هذا المجال ، مبيّنة الكثير من ألوان الفصاحة ووجوه البلاغة في القرآن الكريم .

ومن إعجاز هذا الكتاب ، هذا النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب ، فليس هو من نظم الشعر ولا السجع في شيء ، وتلك هي سورة الرحمن مثلا يتجلى فيها النظم القرآني المعجز وهذه بعض الآيات من تلك السورة لنشنف آذاننا بسماعها ، وندرك ما فيها من روعة وإعجاز : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾[ الرحمن : ١-١٣].

وهكذا نجد نظمًا قرآنيا معجزًا غير معهود في اللسان العربي ، وليس هذا في سورة الرحمن فحسب ، وإنما هناك سور أخرى على هذا النسق البديع والنمط الرفيع .

ومن وجوه الإعجاز القرآني : الإخبار عن المغيبات ، وحدوثها مطابقة لما أخبر به ، كإخباره بغلبة الروم ، وقد حدثت الغلبة التي أخبر عنها بعد أن غلبهم الفرس أول الأمر : ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾[ الروم: ١-٤] .

كما أخبر القرآن الكريم عن الماضي الذي محيت آثاره ، وفي قصص القرآن عن الأمم البائدة التي لم يبق لها ما يدل على أخبارها ، أكبر دليل على أن هذا الكتاب العزيز من عند الله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾[ هود : ٤٩] .

ومن وجوه إعجازه : الوفاء بالوعود الكثيرة التي تضمنها هذا الكتاب ، ومنها أيضا سمو تشريعه وشموله ، فإن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بالفرد أو الأسرة أو المجتمع ، لم يسبقه شرع قبله إليها ، ولن يلحقه تشريع بعده ويصل إلى ما وصل إليه ، كما أن شريعة القرآن معجزة دائما للناس جميعًا لا للعرب وحدهم ، ولا لجيل معين من الأجيال ، وإنما للأجيال كلها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن وجوه إعجاز القرآن كذلك ، عدم التعارض بين الآيات الكونية في القرآن والنظريات العلمية اليقينية ، وليس من مقاصد القرآن الأولى تقرير نظريات علمية في خلق السموات والأرض ، وخلق الإنسان وحركات الكواكب وغيرها من الكائنات ، ولكن في مقام الاستدلال على وحدانية الله وقدرته وعلمه ، جاءت آيات تفهم منها نواميس طبيعية ، لم يقع بينها وبين ما وصل إليه العلم اليقيني أي تعارض .

ومن وجوه الإعجاز القرآني : اتساق أحكام القرآن ونظرياته ، وتوافقها وعدم التعارض بينها ، فالقرآن الكريم تناول موضوعات شتى في العقيدة وفي التشريع وفي الأخلاق ، وقرر نظريات كونية واجتماعية ، كلها ائتلفت معانيها ، وعباراتها ، فلا يوجد فيه معنى يعارض معنى آخر ، ولا حكما ينقض حكمًا غيره ، ولا مبدءًا يهدم مبدءًا آخر ، ولا غرضًا لا يتفق وآخر ، ولو كان هذا

القرآن صادرًا عن غير الله تعالى ، لما سلم من التناقض والاختلاف ، إذ أن العقل الإنساني مهما كمل لا يستطيع أن يحقق ما حققه القرآن من اتساق وعدم تناقض أو تعارض ، بل لابد أن يقع التعارض والتناقض فيما يصدر عن العقل الإنساني ، لأن الكمال لله وحده ، والعقل الإنساني من سماته النقص وعدم الكمال ، وهذا هو رب العزة يقول في هذا الكتاب المعجزة : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾[ النساء : ٨٢].

هذه هي بعض وجوه الإعجاز لكتاب الله تبارك وتعالى ، وهو زاخر بالكثير الكثير من ألوان الإعجاز ، وللقرآن الكريم فضل عظيم على العرب واللغة العربية ، فهو قد حفظ على العرب كيانهم ووجودهم ، وصان لغتهم وخلدها ، وحفظها من الضياع ، ولم تؤثر فيها هجمات الصليبيين ، ولا هجمات المغول ، ولا الاستعمار المتعدد الألوان ، وبقي العرب ولم يبادوا كما بادت الدولة الرومانية ولغتها اللاتينية ، وقد حوى القرآن مبادئ قويمة نهضت بالعرب ، ونقلتهم من حال الجاهلية السيئة ، إلى العزة والقوة والوحدة والسيادة والحضارة، كما أنه حفظ الصلة وثيقة بين الأجيال العربية ، فكل مسلم يشعر أن العربية لغته لأن القرآن كتابه ، ويستطيع العربي أن يتصل فكريًا بالأجيال السابقة من أسلافه ، مهما تباعد الزمن ونأت الديار ، وقد حمل العرب مبادئ القرآن الكريم إلى غيرهم من الشعوب ، فأفادوا منها ونهضوا بسببها ، وربط الإسلام بين العرب وغير العرب من المسلمين برباط الأخوة الإيمانية : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[ الحجرات : ١٠ ].

كما وحد القرآن لهجات العرب ، وجمعهم على لهجة واحدة هي لهجة قريش، فزادهم تماسكا وترابطا ، كما زاد اللغة العربية غنى وثراءً وازدهارًا ، باستعمال بعض ألفاظها في معان إسلامية ، كالصلاة والزكاة والصوم والمؤمن والكافر وغير ذلك من كلمات ومد سلطان اللغة العربية على كثير من مناطق الدنيا ، وقد جعل القرآن الكريم اللغة العربية لغة الدين والعلم والتشريع والحياة ، فللقرآن فضل عظيم على اللغة العربية ، وعلى الإنسانية ، وقد عالج

جميع المشاكل ووضع لها الحلول المناسبة ، وسن القوانين والتشريعات ، التي لو طبقت لكان الخير كله لأهل الأرض قاطبة ، وما تلك القوانين الوضعية إلا هياكل ميتة ، ونصوص جامدة ، ومسكنات وقتية ، وهي لا تصلح ولا تساوي شيئا أمام قوانين السماء التي جاء بها القرآن الكريم ، إذ أن القوانين الربانية مبنية على الحكمة ، والتشريعات الإلهية تستهدف سعادة الإنسانية ، إنه المعجزة الكبرى التي تصون الأرض من المذاهب الهدامة ، وتحفظ الناس من شر المبادئ المهلكة، فمن تمسك بهذا الكتاب فقد نجا ، ومن عمل بما فيه عز وسعد ، ومن انصرف عنه ضل وغوى ، ومن أعرض عن مبادئه السامية ذل وهوى ، ﴿ **إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [ الإسراء :٩-١٠] .

إنه المصباح المنير الذي يهدي الحائرين إلى الصراط المستقيم ، وهو بستان العلم والمعرفة ، فمن أراد الهداية فعليه بالقرآن ففيه الهداية ، ومن رام السعادة فعليه بالقرآن ففيه السعادة ، ومن تطلع إلى مستقبل زاهر فعليه بالقرآن والالتزام الدقيق بما جاء فيه ، إنه الشفاء لعلل البشرية ، والطب الواقي لأدواء الإنسانية ، ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[ يونس : ٥٨-٥٨] .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد عرفنا معًا بعض ألوان الإعجاز القرآني ، والآن إلى قوله تعالى : ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[ البقرة : ٢] فهذا الكتاب كتاب هداية وإرشاد ، كتاب توجيه إلى الخير، بما حواه من الحديث عن العقيدة والعبادات والتشريع والأخلاق ، ففي مجال العقيدة بين القرآن أن عقيدة التوحيد هي العقيدة الصحيحة ، وأيد ذلك بالبراهين والأدلة ، ولكي يصل الإنسان إلى ذلك ، حارب القرآن الخرافات ، وخلص العقول من الأوهام ، وكفل لها حرية التفكير والتدبير والعمل للوصول إلى الإيمان الصحيح ، ورفض القرآن عقيدة الشرك وعبادة الأوثان ، وأقام الدليل واضحًا على بطلان العقائد الفاسدة ، وجاء بآيات كثيرة في هذا المجال ، فهذا قوله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[ البقرة ٢١-٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾[ البقرة : ١٦٣-١٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ**

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران : ١٩٠] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[ ق : ٦-٨] .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[ الأنبياء : ٢٢] وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[ الحج : ٧٣] .

آيات كثيرة في كتاب الله تقرر وحدانية الله ، واستحقاقه للعبادة دون سواه ، وتزيّف ما عدا ذلك من عقائد فاسدة ، وهذه الآيات فيها الهداية والتوجيه للإنسانية ، ولكن لمن؟ إنها لأولئك الذين استخدموا عقولهم من أجل الوصول إلى الحقيقة وتطلعوا إلى مستقبل مشرق في الدنيا والآخرة ، واشتمل القرآن الكريم على عبادات عملية ، تربط المسلمين بخالقهم ، وتوجههم نحو الخير ، ومن هذه العبادات ما هو بدني ، وما هو مالي ، وما يجمع بين هذا أو ذاك ، وتلك العبادات وما يتصل بها من فضائل ، إنما هي تعبير عن تلك العقيدة الإيمانية ، وترجمة لما وقر في القلب من توحيد الخالق العظيم ، وهي صلة بين الله وبين عباده ، وتهذيب للسلوك ، وتطهير للنفوس ، أما في التشريع والأحكام ، فقد اتجهت آيات الأحكام في القرآن الكريم إلى إصلاح حال المجتمع ، وإقامته على أسس سليمة في شتى جوانب حياته ، فها هو ذا قد وضع منهاجًا قويمًا للشئون المدنية ، من بيع وتجارة ورهن ومداينة ، وقد تضمنت آية الدّين في سورة البقرة طريقة تنظم شئون المداينة بين الناس وكيفية توثيق الدين من إشهاد عليه وإملاء المدين وغير ذلك من الأمور المتصلة به ، وتعرضت آيات القرآن أيضا للأمور الجنائية ، كالسرقة والزنا والقتل وقطع الطريق وغير ذلك ، وبينت الحدود لكل نوع منها وذلك لحفظ المجتمع من الفوضى المدمرة ، وإلزام كل إنسان حدوده في ظل القانون ، وتعرض القرآن كذلك ، إلى نظام الأسرة ،

من حيث الزواج والطلاق والميراث والوصية ، والقيام على شئون اليتامى وآداب الاستئذان ، كما أن القرآن الكريم حدد العلاقات الدولية ، وعلاقة المسلمين بالمحاربين والمعاهدات والأسرى وغنائم الحرب ، وهكذا نجد القرآن قد تناول أمورًا شتى في هذا المجال ، والهدف من ذلك المحافظة على المجتمع الإسلامي ، والحيلولة بينه وبين تخلخله وضعفه ، وأما في الجانب الأخلاقي ، فقد بين القرآن لأتباعه الخصال التي تقرب الإنسان من ربه ، وتلك التي تبعده عن رحابه ، فحسن المعاملة مثلا صفة كريمة ، تشمل كثيرًا من أنواع الخير ، فهي تتناول بر الوالدين ، وصلة الأقارب ، وإكرام الجار ، ومساعدة الضعيف ، والعفو عن المسيء ، والإعراض عن الجاهل ، والإحسان والشفقة ولين الجانب ولطف الجدل ، وآيات القرآن كثيرة في هذا المجال وهي تدعو إلى التمسك بتلك الفضائل ، لما يترتب عليها من خير عظيم ، ولنستعرض بعض الآيات الواردة في هذا الشأن ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[ النساء : ٣٦] .وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[ الأعراف : ١٩٩] وقال سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[ الفرقان : ٦٣] .وقال تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [ النحل : ١٢٥] .

وقد اعتبر القرآن الكريم الأخلاق الفاضلة ثمرة من ثمرات العبادة ، يدل على هذا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[ العنكبوت : ٤٥] وقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[ التوبة : ١٠٣] .وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[ البقرة : ١٨٣] . وقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[ البقرة : ١٩٧] وقوله

تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾[ الحج : ٢٧-٢٨] .

وما إلى ذلك من آيات العبادات التي تثمر الأخلاق الفاضلة . هذا هو القرآن الكريم ، الدستور السماوي العظيم ، الذي تضمن سعادة الفرد والأسرة والمجتمعات الإنسانية كلها ، إنه حقا كما قال ربنا هدى ، وإنه القائد إلى طريق النور والخير ، والموجه إلى ما فيه عزة المسلمين ، لأنه من الله الذي خلق ، وربنا قد اتصف بالرحمة ، ولابد أن يكون كتاب الله الموصوف بالرحمة كتاب رحمة ، وأن يكون مشتملا على كل ما تحتاج إليه الإنسانية في حياتها ، محددًا لها معالم الطريق إلى سعادتها ، وإن العالم ليتيه الآن في ظلمات المادية ، ويتعرض للحروب والنكبات ، ولا استقرار للبشرية التي تتنكر لمبادئ الأخوة والمساواة والسلام والعدل وغيرها من المبادئ التي يقوم عليها الإسلام ويدعو إليها القرآن وإنه لمن الواجب على العرب أن يلتفوا حول القرآن من جديد وأن يؤدوا الأمانة إلى العالم المضطرب ليخلصوه من مبادئ المادية الطاغية ، ويردوه إلى المبادئ التي نادى بها القرآن الكريم ، ولن يتأتى هذا إلا إذا عاش العرب أولا في ظل هذا القرآن ، وعملوا بما فيه وطبقوا قوانينه ، وعندئذ يحققون لأنفسهم الخير ، ويعيشون في جو الطمأنينة والحب والسلام ، ويستطيعون بعدئذ أن يؤثروا في الغير ، وبهذا تنزاح الغمة ، وتشفى الإنسانية من العلل التي أصابتها . هذا وبالله التوفيق .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الحادية والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فالقرآن الكريم كما قال ربنا مصدر هداية ، ومشعل نور ، ومصباح ضياء ، ولكن لا ينتفع بهذا كله سوى أحباب الله ، الذين يحملون قلوبًا فاقهة ، ونفوسًا طاهرة ، وأرواحًا صافية ، والذين لديهم الاستعداد للهداية ، وهم أولئك المتقون ، يدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ٢] .

ومن هم المتقون الذين يهتدون بهدي القرآن ؟ ومن هم أولئك الأحباب الذين ينتفعون بما جاء في هذا الكتاب العظيم ؟ إنهم أولئك الذين امتثلوا الأوامر واجتنبوا النواهي ، فهم لا يعطلون أمرًا من أوامر الله وإنما ينفذون بدقة وأمانة وإخلاص كل ما أمروا به من الله ، وهم لا يرتكبون شيئا من المحرمات ، ولا يدنسون أنفسهم بفعل شيء مما نهى عنه الله ، والإنسان الذي يكون كذلك، هو ما ينطبق عليه لفظ التقوى ، وهو بهذا السلوك العظيم ينال الخير كله من الله ، وما دمنا بصدد التقوى ، فلنتحدث بشيء من التفصيل عنها وعن نتائجها، وهذا هو الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، يبين لنا معنى التقوى فيقول : « **هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل** » هذا هو معناها عند الإمام علي ﷺ ، وهو معنى جميل شامل ، فهي تتكون من أربعة عناصر ، وأولها الخوف من الله الخالق والحياء منه سبحانه وتعالى والأدب الجم معه ، والرهبة من جنابه ، ولا شك في أن الخوف من الله يؤدي إلى إبعاد الإنسان عن المعاصي ، فلخوفه منه يخشى أن يقع في المحرم ، وينأى بنفسه عما يغضب الله ، وهو بهذا الخوف من ربه ، ينهى النفس عن الهوى ، ويزجرها ويحذرها من الانزلاق في بؤرة المعصية ، وقد بين لنا

القرآن الكريم أن الخوف من الله يقود الإنسان إلى الجنة ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [ النازعات : ٤٠-٤١].

وثاني تلك العناصر : العمل بالتنزيل ، وذلك بتنفيذ ما جاء في كتاب الله من أوامر ، والبعد عما فيه من نواه ، وبالعيش دائما في رحاب القرآن ، والاستظلال بظله الوارف ، والإنسان الذي يعيش مع القرآن وبالقرآن ، يكون محلا لرحمة الله تبارك وتعالى قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ يونس : ٥٧] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[ الإسراء : ٩] .

وثالث عناصر التقوى : الرضا بالقليل ، والقناعة بما قسم الله وقدر ، وفي ظل الرضا والقناعة ، يعيش الإنسان مستريح النفس هادئ البال ، ناعم الحياة ، ويحس بأنه أغنى الناس وبالرضا تكون البركة من الله ، فيكون القليل كثيرًا ، والقناعة كنز عظيم لا يفنى ، وهذا هو رسول الله ﷺ يقول : « **وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس** » .

ورابع هذه العناصر : الاستعداد ليوم القيامة ، بالعمل الصالح النافع ، وبعمل الخير الذي يرضى الله ، والتزود بزاد التقوى الذي هو خير زاد ، وقد حثنا ربنا على الاستعداد لهذا اليوم حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[ الحشر : ١٨] .

إن تقوى الله تعالى واجبة على كل إنسان ، ولها آثارها العظيمة في إصلاح النفوس وتهذيبها ، وفي الحيلولة بينها وبين شهواتها الدنيئة ، وقد ذكرها ربنا في أكثر من ثمانين موضعًا في القرآن الكريم ، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تحديد مستقبل الإنسان في الآخرة ، وهو مستقبل باسم مضيء ، وقد تعرض القرآن الكريم للفوائد التي تترتب على التقوى ، وتحدث عن ثمارها دنيا

وأخرى ومن فوائدها الفرقان وتكفير السيئات وغفران الذنوب ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[ الأنفال : ٢٩] .

ومن بين فوائدها وثمارها . الحفظ والحراسة من الأعداء ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ ﴾[ آل عمران : ١٢٠] . ومن بينها كذلك التأييد والنصر الإلهي ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[ النحل : ١٢٨] .

ومنها النجاة من الشدائد والرزق الحلال الطيب ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾[ الطلاق : ٢-٣] .

ومنها إصلاح العمل وغفران الذنوب ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ [ الأحزاب : ٧٠-٧١] .

ومنها الرحمة والنور والغفران ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾[ الحديد : ٢٨] .

ومنها حب الله تبارك وتعالى لهم ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [ التوبة : ٤] .

ومنها الإكرام الإلهي للمتقين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [ الحجرات : ١٣] .

ومنها البشارة عند الموت ، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾[ يونس : ٦٣-٦٤] .

ومنها النجاة من النار ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾[ مريم : ٧٢] .

ومنها الخلود في الجنة ، قال تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ** ﴾[ آل عمران : ١٣٣ ] .

تلك بعض آيات القرآن الكريم ، وهي كما نرى تحمل الخير كل الخير للمتقين ، وتبشرهم بمستقبل عظيم عند الله تبارك وتعالى ، ونحن قد أمرنا بتقوى الله ﷻ ، فمن لبّى من المسلمين أمر ربه ، وتزود بهذا الزاد العظيم من التقوى فإنه يكون سعيدًا كل السعادة دنيا وأخرى ، ومن أعرض ولم يمتثل ، فإنه يضل ويشقى .

والمتقون أحباب الله ، وأحبابه سبحانه وتعالى لهم المنزلة العالية والمكانة السامية ، وقد أكد ربنا تلك المنزلة في كتابه الكريم ، وبين بطريق التأكيد ما ينتظر المتقين من خير ونعيم ، وما سيكرمون به في الجنة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ** ﴾[ الطور : ١٧-٢٠ ] .

وقال تعالى:﴿ **إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا** ﴾ [ النبأ : ٣١-٣٦ ] .

إنه نعم الجزاء من الله للمتقين ، أولئك الذين أحسنوا التعامل مع خالقهم ، وكانوا أوفياء مع ربهم ، فأدوا ما وجب عليهم نحوه ، ونفذوا كل ما جاء به الدين ، وسموا بأنفسهم عن الدنايا ، وكانوا كما أمرهم الله ، متصفين بكل ما يقربهم إليه من فضائل ، متخلين عن كل ما نهى عنه من رذائل .

إن تقوى الله مطلوبة من كل مسلم في كل زمان ومكان ، من وقت بلوغه وتكليفه إلى أن يوارى التراب ، والرسول ﷺ قال في هذا الشأن : « **اتق الله حيثما كنت** » ، فهذا أمر منه ﷺ بتقوى الله في جميع الأوقات والحالات ، في الإقامة والسفر ، في الصحة والمرض ، في الليل وفي النهار ، في السلم وفي الحرب ، وبهذا السلوك المبني على تقوى الله يرضى عنا الله ، فعلى الإنسان أن

يتقي ربه قبل أن تضيع منه الفرصة ، لأنه لا يدري متى يموت وأين يموت؟ ، وقد ينزل الموت بالإنسان وهو قوي صحيح ، وقد يأتيه بغتة وهو في عمله ، وقد يدهمه وهو راقد في فراشه ،وهو لا يحتاج إلى نذير .

**تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ الليل هل تعيش إلى الفجر**
**فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر**
**وكم من فتى يمسي ويصبح لا هيا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري**

وفقنا الله إلى التزود بزاد التقوى .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الثانية والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد كان الحديث عن المتقين في حلقتنا الماضية ،وعرفنا معًا ما أعده الله لهم من خير وفضل وتكريم ، والآن مع بعض ما يتميز به المتقون ، وما يتصفون به من صفات ، فهم كما قال الله تعالى فيهم ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾[ البقرة : ٣] .

فالمتقون يؤمنون كل الإيمان بما هو غيبي ، يؤمنون بما لم يروه وما لم يشاهدوه ، فهم يؤمنون بالله ربا وهم لم يشاهدوا الله ، وهم مؤمنون بالملائكة وهم لم يروهم، وهم مؤمنون بكل رسل الله وهم لم يسبق لهم رؤيتهم ، وهم مؤمنون بيوم القيامة الذي لا يزال في علم الله ولم يأت بعد ،وهكذا يؤمن المتقون إيمانا راسخا بكل ما جاء عن الله وما هو غيبي ، دون شك وبلا تردد .

والمتقون كذلك يقيمون الصلاة ، بمعنى أنهم يؤدونها في أوقاتها دون كسل ، ويعطونها حقها من خشوع وطمأنينة ويستحضرون قلوبهم فيها ولا يفكرون في شيء آخر ،ويقفون بين يدي الله على أكمل وجه وأحسن حال ،وقفة أدب وخشية ، وخضوع وخشوع ، وتلك هي الصلاة المقبولة ، التي تصعد إلى السماء، وحولها هالة من النور ، وتدعو لمؤديها بالحفظ وتقول : حفظك الله كما حفظتني ، فالمتقون يؤدون الصلاة كما ينبغي أن تؤدى ، ويقيمونها ولا يقصرون فيها ، وهم دائما مع الله بقلوبهم في الصلاة ، وخارج الصلاة ، وما دمنا قد تعرضنا للصلاة ، فلنتوسع في الحديث عنها بعض الشيء ، إنها ركن هام من أركان الإسلام ، ولذا جاءت في المرتبة الثانية بعد الشهادتين ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا** »

والصلاة هي العبادة الوحيدة التي فرضت في السماء دون غيرها من العبادات ، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في الدين ، ولما يترتب عليها من تعديل لسلوك الإنسان ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة التي تعود عليه وعلى الإنسانية بالخير العظيم ، وقد فرض ربنا علينا خمس صلوات في اليوم والليلة ، وبيّن لنا الرسول ﷺ كيفية الصلاة التي امرنا الله بها ، وما يشترط لها من أعمال ظاهرة وباطنة ، كما بين لنا ما يبطلها وما يحبط ثوابها ، وليست الصلاة هي مجرد الحركات والسكنات بالجسم والقلب غافل عن الله مشغول بالشهوات لاه بالملذات ، ليست هذه هي الصلاة المقبولة ، وليست هي الصلاة الحقيقية ، إنما الصلاة التي تقبل ويترتب عليها الفلاح ، هي كما قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ** ﴾ [ المؤمنون ١-٢] .

والخشوع روح الصلاة ، وهو شيء لابد منه لينال الإنسان رضا الله ، والرسول ﷺ قال : « **لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه** » .

والغرض من الصلاة أن يشعر المصلي نفسه بعظمة الإله الخالق ويخضع القلب لعزته الدائمة ، ويذكره من آن لآخر ، فلا يعمل إلا ما يرضي ذلك الإله القادر العظيم ، طمعًا في رحمته وخوفا من عذابه ، ومثل هذه الصلاة التي يشعر فيها المؤمن بعظمة خالقه وبحسن أدائها ويعطيها حقها ، تبعده عن كل ما يغضب ربه ، فلا يقع في معصية ، ولا ينحرف في مسيرة حياته ، ولا يعوج ولا يضل ، مصداق ذلك قول ربنا العظيم : ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ** ﴾[ العنكبوت : ٤٥] إنها خير مؤدب للنفوس ، وأعظم زاجر للقلوب ، وخير وسيلة للكف عن الجرائم ، وأقوى صلة بين الإنسان وربه ، وهي مفتاح النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة .

والصلاة شيء سهل هين ،وعمل غير مرهق ، وربنا لم يكلفنا بما لا طاقة لنا به ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[البقرة: ٢٨٦] . فلا عذر لأحد في ترك الصلاة ، ومن هنا أمرنا بأدائها في جميع الحالات ، امرنا بها في الصحة والمرض ، في السلم وفي الحرب ، في السفر وفي الإقامة ، فإذا كنا في حالة الصحة أديت من وقوف ،

وإذا كنا في حالة المرض أُدِّيت من جلوس ، فإن لم يكن هناك استطاعة لأدائها بهذه الصورة أديت والإنسان راقد ، وإذا كنا في حالة الإقامة أديت الرباعية كما هي تامة ، وإذا كنا في حال سفر أديت الرباعية ركعتين قصرًا ، وإذا كنا في حالة حرب فالجنود يؤدونها بطريقة معينة بحيث يقسم الجيش إلى فريقين ، فرقة تصلي خلف الإمام ركعتين وتكون الأخرى تجاه العدو،وبعد أداء الركعتين خلف الإمام تقوم تلك الفرقة بما تبقي من صلاتها ثم تسلم ، وتذهب إلى حيث كانت الفرقة الأخرى لتكون محلها ، وتأتي تلك الفرقة الأخرى لتصلي مع الإمام الذي كان ينتظرها لركعتين ثم يسلم الإمام وتؤدى هي ما بقي من صلاتها ، وهكذا نجد أن الصلاة واجبة في جميع الحالات .

إن الصلاة قانون رباني وعبادة أُمرنا بها من قبل الله لله ، وإنه لمن الواجب على المسلم أن يحترم قانون ربه ، وينفذ ما أمره به خالقه ، وإلا إذا لم يقم بما أمر، ولم يؤد ما وجب عليه ، كان عاصيًا لله ، متمردًا على هذا القانون الرباني ، مستهترًا بأمر الله ، وعندئذ يستحق أشد الغضب من الله ، ويلقى جزاءه من خالقه ، في يوم شديد الأهوال عظيم الأخطار ، وإنه لمن أشد العجب ، أن يحترم بعض الناس قوانين الأرض ولا يحترمون قوانين السماء ، فها نحن أولاء نرى البعض من الناس لا يصلون وهم في غفلة ساهون ، وفي الوقت نفسه يخافون من الخروج على تلك القوانين التي وضعها الإنسان ، وكان الأجدر بهؤلاء الناس أن يجعلوا قوانين الله محل الاحترام ، وأن ينفذوا تعليمات السماء ، حتى لا يعرضوا أنفسهم للعقاب من الله تعالى ، ولكن يبدو أن الشيطان قد أضلهم ، وسيطر على قلوبهم وأنساهم ربهم ، وقطع الصلة بينهم وبين خالقهم ، ولا ينجح هذا الشيطان إلا إذا كان إيمان هؤلاء ضعيفا غير قوى ، ميتا غير حيّ ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[ الحشر ١٩] ، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[ المجادلة : ١٩] .

إن الصلاة كلها خير ، فليكن هناك حرص على أدائها في أوقاتها وصلاة الإنسان في جماعة أعظم أجرًا من صلاته منفردًا والرسول ﷺ يقرر في حديث شريف أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ثم إن

هناك أجرًا يحصل عليه المصلي في المسجد في جماعة ، فمشيه إلى المسجد عليه أجر، ومن هنا رغب الدين في أداء الصلاة في المساجد ، والمسلم الفطن الواعي هو ذلك الذي يعمل على اكتساب الحسنات ويحرص على نيل الأجر من الله ولا يفتر عن أداء ما وجب عليه نحو الله ، ولا يقصِّر في شيء من دنياه ، هذا هو الإنسان الفاهم ، الذي ينظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة ، وفترة عبور إليها ، وإنا لنسأل الله سبحانه أن يوفقنا إلى طريق الخير والرشاد ، ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الثالثة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فبعد أن بين ربنا حرص المتقين على إقامة الصلاة ، قال عنهم بعد ذلك : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[ البقرة : ٣] فهم يؤدون زكاة أموالهم كما أمر الله ويعطون الفقراء حقوقهم طيبة بها نفوسهم ، وينفقون مما رزقهم الله دون شح ، ويتصدقون بلا بخل ، مؤمنين بأن المال مال الله ، وأنه تحت أيديهم وديعة ، وأنهم استخلفوا فيه من قبل الله ، ولهذا يوجهونه حسبما رسم الدين ، في وجوه الخير وميادين البر ، وبما يعود على الإنسانية بالنفع والفائدة ، هذا هو شأن المتقين: إنفاق وتصدق ، وبذل وعطاء ، وإقراض حسن وحسن تصرف، وطرح لرداء الأنانية والبخل ، وبعد عن الشح وحب الذات ، ونبذ للأثرة وحب الإيثار ، والمتقون بهذا الموقف العظيم الذي يدل على سمو الشخصية ، ينالون من الله حسن الجزاء ويحصنون ما تحت أيديهم من مال ، ويعبرون عن شكرهم لله ، والزكاة كما نعلم جميعًا ركن من أركان الإسلام ، وشعيرة من شعائر الدين، وقد قرنها الله بالصلاة في آيات القرآن الكريم ، فهو حين يقول : ﴿**فأقيموا الصلاة** ﴾ يقول عقب ذلك ﴿ **وآتوا الزكاة** ﴾ وهنا قال في شأن المتقين: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[ البقرة : ٣] .

وإذن فالزكاة لا تقل أهمية عن الصلاة ويجب أن يهتم المسلم بإخراج الزكاة وبالإنفاق والتصدق ، كاهتمامه بأداء الصلاة . والزكاة حق مقرر للفقراء ، ونصيب مقدر لهم من مال الأغنياء ، وليست منحة ولا تفضلا ، وفي هذا يقول رب العزة ﴿ **وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ** ﴾[ الذاريات : ١٩] ، وذمة الأغنياء لا تبرأ إلا بإخراج هذا الحق إلى أصحابه ، فإذا أدى هذا الحق إلى أربابه ، عاد ذلك على الأغنياء بالنماء والبركة ، والثواب الجزيل والرضا العظيم من الله ، وعاد

كذلك على الفقراء باليسر والرحمة ، وكان سببًا في صفاء قلوب البؤساء ، والشعور الطيب ، المتبادل بينهم وبين الأثرياء ، والتماسك التام الذي ينشده الإسلام ، والتعاون العظيم الذي يدعو إليه الدين ، والزكاة تطهير للمال والنفس ، وهي أهم مظهر من مظاهر التعاون والرحمة ، ولها أعظم الأثر في تعاطف الأمة وتكافلها ، وبها يستقر الأمن ويستتب النظام وفي ظلها يعيش الجميع في سعادة ووئام ، وهي تدريب عملي للأغنياء على الإيثار والجود والبذل ، وتلك صفات فاضلة فيها كل الخير للناس ، أما الشح والأثرة والبخل، فهي صفات قبيحة لا تتفق والدين ، ولا تتناسب مع روح الإسلام .

والزكاة شكر لله على ما أنعم ، واعتراف عملي بالثناء على الله وإقرار صريح بأن المال مال الله ، وفي ظل هذا الشعور النبيل وذلك الشكر الخالص تنمو النعم وتزيد ، ويكثر الخير ويربو وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[ إبراهيم : ٧] وحيث قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[ سبأ : ٣٩] .

والزكاة واجبة في المال وفي الإبل والبقر والغنم ، وفي بعض ما تنتجه الأرض من زروع وثمار ، وهي واجبة كذلك في عروض التجارة ، بنسب قليلة معروفة متى وجد النصاب ، فإذا لم يكتمل النصاب فهي غير واجبة ، ولكن عدم تكامله وعدم وجوبها في تلك الحالة لا يعفيان الإنسان من التصدق والإحسان إلى الفقراء حسبما تسمح به الظروف والأحوال ، وفي حدود الطاقة والقدرة .

والله سبحانه جعل يد الأغنياء في أموالهم يد استخلاف ، وأفاض عليهم هذه النعم لينتفعوا منها وينفعوا بها ، وهذا هو القرآن الكريم يبين لنا هذا المعنى ويخبرنا عما يترتب على الإنفاق من أجر كبير حيث يقول جل جلاله : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [ الحديد : ٧] .

فالمؤمن التقي هو ذلك الذي لا يقصر في واجب ، ولا يتكاسل عن أداء حق عليه ، ولا يكون أسيرًا للمال ولا عبدًا للشيطان ، إنه ينظر إلى الدنيا نظرة

الوعي والفهم ، ويدرك أنها فانية وإلى زوال ، وأن المال الذي تحت يده لن يدوم، حيث إنه لن يأخذ منه شيئا إلى قبره ، ولن يصحبه في آخرته ، وانه لا ينفعه شيء إلا ما قدم من عمل صالح يرضي الله عنه ، تلك هي نظرة المؤمنين الأتقياء وهي نظرة بعين القلب ، ومثل هؤلاء الذين يعرفون الأمور على حقيقتها ويدركون كل شيء تمام الإدراك ، مثل هؤلاء يكونون مثلا عالية في السمو ، ونماذج ممتازة في حسن التصرفات ، وفي المقابل يوجد أناس لا يؤدون زكاة أموالهم شحا وبخلا ، ويقصرون كذلك في الأمور الأخرى التي أوجبها الله، إنهم يضنون ولا يعطون الفقراء نصيبهم ، ولا تتحرك فيهم عاطفة ، وهم ينظرون إلى المال كأنه معبودهم ، وأمثال هؤلاء سيلحقهم العذاب ، لأنهم قد استهتروا بقوانين ربهم ، ولم يبالوا بما أوجبه عليهم خالقهم ، ولو أنهم أدركوا سوء الصورة التي رآها الرسول ﷺ لأمثالهم ، لأقلعوا عن هذا السلوك ، ولأعطوا كل ذي حق حقه ، لكنهم لم يدركوا ولم يحسنوا وسدروا في غفلتهم وضلالهم ، وانساقوا وراء شهواتهم ، وتلك هي الصورة القبيحة المنفرة التي شاهدها الرسول ﷺ ليلة الإسراء ، وتتمثل في رؤيته لأولئك الذين لا يؤدون الزكاة ، وهم في حال سيئة مروعة حيث وجدهم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع، وهم يسرحون كما تسرح الإبل ، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم ، وعندئذ قال الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام الذي كان يصحبه في تلك الرحلة ، من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال له : هؤلاء هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم .

وهذا هو القرآن الكريم قد قص علينا قصة ثعلبة ، وأخبرنا بأن نفسه شحت ولم يعط الفقراء حقوقهم ، وأعرض عن محصل الزكاة ورده ردًا سيئا فكانت النتيجة أن باء بغضب من الله ، وأعدّ له ربه وكذلك لأمثاله العذاب الشديد ، وهذا هو قارون ، آتاه الله ثروة واسعة ، وأعطاه حظًا وافرًا من الغنى ، ولكنه طغى وبغى ، ومنع حق الفقراء ولم يشكر ربه على نعمه ، ولم تجد نفسه بشيء مما أعطاه الله من خير ، فكان مآله أن خسف الله به وبداره الأرض ، وباء بالغضب من الله، وأعدت له جهنم وبئس القرار، وقد تحدث القرآن الكريم عن

هاتين القصتين ، وصور هذين الرجلين في أسوأ صورة وجعلهما عبرة لغيرهما من الناس حتى لا يحذوا حذوهما في حب المال وعبادته ، وحتى يجنبوا أنفسهم سوء المصير الذي وصلا إليه . ومن هنا ندرك أن الواجب على الإنسان أن ينصاع لأوامر ربه ، وينفذ تعليمات خالقه ، وأن ينفق مما أعطاه الله ، ويحرص على التخلص من التبعات والمسئوليات ، حتى يبتعد عن الغضب الرباني ، وليكون ممن رضي الله عنهم ، وأعد لهم في الآخرة الخير والنعيم ، وهذا هو رسول الله ﷺ يبين لنا في حديث شريف ، أن الإنسان المنفق المتصدق ، يدعو له ملكان بالزيادة والنماء والبركة ، وأن الذي يمسك ولا ينفق ، ويبخل ولا يعطي، يدعو عليه هذان الملكان بالتلف والخسارة ، حيث يقول ﷺ :« **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يقولان : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً** » .

فما أعظم نتيجة البذل والعطاء ، وما أسوأ نتيجة الإمساك والشح ، وإنا لنسأل الله سبحانه ، أن يوفقنا إلى احترام قوانينه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم.

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الرابعة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد سبق الحديث عن المتقين وعرفنا عنهم أنهم يؤمنون بما لم ير ولم يشاهد من الأمور الغيبية التي أخبرنا عنها الله في كتابه الكريم الذي أنزله على محمد ﷺ وأنهم كذلك يقيمون الصلاة ويحافظون على أدائها في خشوع كامل لربهم ، ويؤتون الزكاة ولا يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، عرفنا عنهم ذلك النمط من السلوك كما جاء في كتاب الله حيث قال : ﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[ البقرة : ٣] .

والآن مع أمور أخرى يؤمنون بها ويصدقون ، وهي التي تحدث عنها القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾[ البقرة : ٤] فهم يؤمنون بكل ما أنزل على رسول الله محمد ﷺ ويصدقون بجميع ما جاء به عن ربه ، فالقرآن الذي أنزل عليه ، لا يخامرهم ادني شك في أنه من عند الله ، وأن ما فيه حق وصدق وأنه المعجزة الكبرى التي أيد الله بها رسوله ، وان ما حواه من أوامر ونواه إنما هي لمصلحة الإنسانية ، إنهم يؤمنون به كل الإيمان ، ويحترمونه كل الاحترام ، وهم به يعتزون لأنه الدستور السماوي لأهل الأرض ، والنور العظيم الذي يستضاء به في الحياة ، وهم لا يقصرون في أمر من أوامره ، ولا يرتكبون شيئا مما حرمه ، وهم يتحلون بما حث عليه من أخلاق فاضلة وسجايا حميدة ، ويتخلون عما نهوا عنه من رذائل وموبقات .. إنهم يهتدون بهدى القرآن في جميع أمورهم ، ويجعلونه دائما رائدهم في كل تصرفاتهم ، فهم في شئونهم الدينية لا يحيدون عن تعاليمه ، ولا يخرجون قدر أنملة عن قوانينه ، وهم في معاملاتهم الأسرية والإنسانية يعيشون في ظله ويستضيئون بنوره ، وهم يحكمونه في كل شيء في

دنياهم ، إدراكًا منهم أن الخير كل الخير فيما حواه ، وان السعادة الدنيوية والأخروية لا تتحقق إلا بالسير على هديه ، هذا هو موقف المتقين إزاء ما أنزل على رسول الله محمد ﷺ، وهو موقف ليس مقصورًا على الإيمان فحسب ، وإنما هو مقرون بالتطبيق الأمين ، والامتثال والتنفيذ والاحترام الكامل العظيم ، وهم لم يؤمنوا فقط بما أنزل على محمد ﷺ وإنما امتد إيمانهم إلى دائرة أوسع وأرحب ، فهم يؤمنون بكل رسل الله عليهم السلام الذين أرسلوا قبل محمد ﷺ ويؤمنون بما أنزل عليهم من كتب سماوية ، يؤمنون بالتوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك من كتب سماوية كما يؤمنون بالقرآن الكريم ، فإيمانهم لا يقتصر على رسول واحد ولا على كتاب واحد ، وإنما هو إيمان ذو دائرة واسعة ، إيمان شامل بكل رسل الله وبجميع كتب الله ، هذا هو شأن المؤمنين المتقين الذين تحدث عنهم القرآن الكريم ، وأشاد بهم ونوه بشرفهم وحسن مواقفهم ، وذاك هو طابع الأتقياء الذين أحبهم الله ورضي عنهم ، واعدّ لهم في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم خالد ، وعز دائم ، وسرور شامل ، والقرآن الكريم قد بين لنا أنه لا بد من الإيمان بكل الرسل وجميع الكتب ، وهذا هو قول ربنا في كتابه العزيز:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[ البقرة : ٢٨٥] .

إنه الإيمان الكامل الذي يشمل كل رسول من الرسل ، وكل كتاب من الكتب ، والإنسان لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا آمن بكل من أرسلهم الله دون استثناء ، وبكل كتاب أنزله ربنا دون فرق بين هذا وذاك .

ثم إن هؤلاء المؤمنين المتقين يؤمنون بيوم القيامة ويوقنون به ولا يشكون في وقوعه ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [ البقرة : ٥] يؤمنون به لأن ربنا أخبر عنه ، ويصدقون بمجيئه لأن القرآن جاء به ، كما أنهم يؤمنون بما يتصل بهذا اليوم ، من بعث الله الناس من قبورهم ، وعرضهم عليه للحساب ، ومجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ويؤمنون بالجنة وما فيها من عز ونعيم ، وبالنار وما

فيها من عذاب أليم ، ويدركون أن الجنة لمن أطاع ربه وعمل صالحا في دنياه ، وأن النار لمن عصي خالقه وبارزه بالسيئات ، وهم من أجل أن يجنبوا أنفسهم سوء المصير ، ينشطون في عبادة ربهم ، ويؤدون واجبهم نحو الله ، ولا يتكاسلون عن القيام بما أمرهم به الخالق العظيم .

إن هؤلاء المتقين لهم المنزلة السامية عند الله والمكافآت الممتازة لدي ربهم ، وذلك لأنهم آمنوا ولم يكفروا وأذعنوا ولم يتمردوا ، وانقادوا لخالقهم ، وعبدوه حق العبادة ، وقد نظروا إلى الدنيا بمنظار العقل وأدركوا أنها فانية ولن تدوم ، وأنهم سيموتون وعلى ربهم سيعرضون ، ونظروا إليها كذلك على أنها كسوق انتصب ثم انفض ، وبعد انفضاضه كان هناك الرابح والخاسر ، فعملوا في دنياهم الخير ليربحوا، وأحسنوا فيها ليسعدوا ، واجتهدوا في حياتهم لينالوا حسن الجزاء من الله ، عرف المتقون بعين المعرفة القلبية ربهم فأدوا واجبهم كاملا نحوه ، وعملوا على مرضاته بالاجتهاد في عبادته والإخلاص في طاعته ، ووصلوا قلوبهم به فوصلهم برحمته ، وقد ذكر القرآن الكريم أن هؤلاء المتقين بهذا السلوك الممتاز على هدى من ربهم وأنهم على جادة الصواب في حياتهم ، ولهذا كانوا من المفلحين الفائزين ، الذين رضي عنهم رب العالمين وصدق رب العزة حيث قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[ البقرة : ٥] .

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل ، فمن آمن وعمل صالحا فله أجره عند ربه ، وله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ومن كان على العكس من ذلك فالنار مأواه ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[ الزلزلة : ٧-٨] ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾[ الكهف : ١٠٧-١٠٨] .

إن المتقين أحباب الله ، وهم قد امتازوا بشفافية الأرواح ونبل الشمائل ، وصفاء القلوب وامتلائها بحب الله ، ونقاء النفوس وطهارتها ، ومعرفة الله والاعتماد عليه في كل الشئون ، والإقبال على عبادته بأمانة ودقة ، ولذا كانوا أهلا للفلاح والنجاح ، ومحلا للرحمات الإلهية والنفحات الربانية ، وربنا واسع

الفضل عظيم العطاء ، وخزائن خيره لا تنفد مهما عظم العطاء ، وهذا الموقف المشرف من جانب أولئك المتقين ، يعطينا الدرس النافع في كيفية التعامل مع الله ويوجهنا إلى ما يجب علينا نحو خالقنا العظيم ، من إيمان عميق حي ، وعبادة خالصة ، وحسن خلق ، وسمو سلوك ، والتجاء إلى الله وتوكل عليه ، وتفان في طاعته ، فليكن أولئك الذين أشاد القرآن الكريم بهم ، القدوة والمثل ، ولنسر على دربهم ، ولنسلك سبيلهم ، وبهذا يرضى عنا ربنا ، ويحشرنا يوم القيامة مع هؤلاء الأحباب ، ويدخلنا الجنة بفضله ورحمته ، هذا هو ما يجب على المسلمين المعاصرين وتلك هي الطريق النيرة التي توصلنا إلى الاستظلال بظل رحمة الله ، والله نسأل أن يجعلنا من أحبابه ويكرمنا بكرمه ويهيئ لنا الخير حيث كان ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الخامسة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد سبق أن عرفنا الموقف العاقل الرائع لأولئك الذين أحبهم الله وهم المتقون من عباده ، والآن إلى معرفة موقف هو على النقيض من ذلك ، إنه موقف الكفار والذين صموا آذانهم عن دعوة الحق والتوحيد التي جاء بها محمد ﷺ والذين عكفوا على عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم من الله شيئا ، وقلدوا آباءهم دون ترو وبلا تفكير ، واقتدوا بأسلافهم في الضلال والكفر ، وارتكاب العاصي والمحرمات .

ولقد كان الرسول ﷺ يحاول ويحاول تخليصهم مما هم فيه من شرك ، ويدأب على تغييرهم والأخذ بأيديهم ، ويدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويحرص كل الحرص على إخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ولكنهم لم يعوا ولم يعقلوا ولم يتدبروا عاقبة أمرهم ، ولم يستجيبوا لله ولا للرسول .. وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن غباء هؤلاء الكفار ، ويبين نتيجة تصرفهم الأرعن الذي يدل على سوء اتجاههم وذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[ البقرة : ٦-٧] .

فهم قد سبق في علم الله أنهم سيظلون على كفرهم ولن يتحولوا عن ضلالهم ولهذا يستوي إنذار الرسول لهم وعدم إنذاره ، ولن يفيدهم تحذير ولا وعظ ، ولا أمل في إيمانهم ولا خير يرجى منهم . إنهم قد استحبوا العمى على الهدى وركبوا رؤوسهم وأعرضوا باختيارهم عن طريق النور ، وسخروا كل ما يملكون لمحاربة دعوة الإيمان ، وصمموا على مناوأة الرسول وأتباعه ، ومهما حاول الرسول هدايتهم فلن يهتدوا ، ومهما بذل من جهد فلن يستجيبوا ،

لأنهم فقدوا مقومات الاستجابة ، ولأنهم سلموا زمام عقولهم للشيطان ، ومادام المرء كذلك ، فدعوتهم إلى الإيمان وعدم دعوتهم سواء ، وإرشادهم وعدم إرشادهم يستويان فقلوبهم كالأرض الجدباء وعقولهم كالحجارة الصماء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[ البقرة : ٦] .

وقد علل القرآن الكريم عدم إيمان هؤلاء الكفار وكشف النقاب عن السبب في إصرارهم على الكفر ، حيث قال : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[ البقرة : ٧] . فقد سبق في علم الله استمرارهم على الكفر ، ولذلك ختم على قلوبهم ، فصارت مظلمة لا تعرف طريق الخير ، مقفرة لا يفيدها زجر ، وكذلك الشأن بالنسبة لأسماعهم وأبصارهم ، فأسماعهم عليها غشاء يحجب عنها كلمة الإيمان فلا تسمعها ، وأبصارهم عليها غشاوة فلا ترى إلا الظلمة ، ولا تبصر سوى شبح الضلال ، ومن هنا كان سلوكهم وبسبب ذلك كان تصرفهم ، ولذلك أعد الله لهم نار جهنم يصلونها ، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[ البقرة : ٧] .

إن موقف الكفار موقف غبي ، وإن تصرفهم تصرف شقي، وإن سلوكهم في الحياة سلوك منحرف ، فالرسول أرسِل رحمة لكنهم رفضوا أن يرحموا ، وهو قد جاءهم بالدين المنقذ لهم لكنهم آثروا الشر ، وحمل إليهم رسالة السماء لكنهم لفظوها ، وليت الأمر وقف عند حد الرفض والعصيان ، وإنما كانوا حربًا شعواء ضد حامل رسالة السماء ، وقد قاموا بأعمال عدوانية ضد من هداهم الله إلى الإسلام ، ووضعوا الحواجز والعقبات أمام الدعوة الإسلامية ، وأخذوا يتكتلون ويتحزبون ليوقفوا الزحف الإسلامي ويعطلوا مسيرة الإيمان ، لكنهم فشلوا ونجحت دعوة الإسلام ، وقد تحدث القرآن الكريم عن الأعمال الشيطانية لهؤلاء الكفار ، وسجل فشلهم الذريع ولعنة السماء لهم وتحدث كذلك التاريخ عن أفعالهم المجنونة ووصمهم بالعار وأدانهم .. ويكفي لإدانة هؤلاء القوم تآمرهم على قتل رسول الله ﷺ والتفافهم حول مائدة الشر ليلا لتدبير هذه المؤامرة القذرة ، وعرض آرائهم الشريرة من أجل الوصول إلى رأي

موحد للقيام بهذا العمل الإجرامي ، ووصلوا إلى الرأي النهائي بعد العرض والمناقشة ، ويتمثل في مشاركة كل القبائل المعادية في قتل الرسول ﷺ ، وذلك باختيار شاب من كل منها للقيام بإزهاق روحه والانقضاض عليه بسيوفهم البتارة وتمزيق جسمه بلا رحمة ، وعند ذلك لا يستطيع أهله مواجهة تلك القبائل ، وبهذا يهدر دمه مقابل دية تدفع لهم ، هكذا فكروا وقرروا وأحاطوا مؤامرتهم بالسرية التامة ، حتى لا تتسرب الأخبار وتتكشف المؤامرة ، ولئن كانوا فد أغلقوا الأبواب واجتمعوا سرًا ، فإن رب العزة الذي يعلم السر والنجوى ، قد أطلع رسوله محمدا ﷺ على تفاصيل المؤامرة ، وانزل عليه القرآن الكريم ليخبره بما اتفق عليه هؤلاء الأعداء ، ووعده سبحانه بالحفظ والرعاية ، وجاء موعد التنفيذ ، فكانت النتيجة أن شل الله حركة أولئك الذين جاءوا لقتل الرسول وأغشى أبصارهم وظلت سيوفهم في أغمادها ، وحفظ الله الرسول بقدرته ، ومنع عنه الشر ، ودفع عنه كيد الأعداء .. هؤلاء هم الكفار لم يستطيعوا إلحاق الأذى بالرسول ﷺ وعجزوا عن تنفيذ المؤامرة لأن الرسول على حق وهم على الباطل ولأنهم يسيرون في ركب الشر والرسول ﷺ يسير في موكب الخير والنور ، ولأن الله هو الحافظ ، وهو القادر العظيم ، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وما أكثر ما قدمه الكفار من إساءة إلى المسلمين ، لقد امتدت أيديهم بالتعذيب لكثير منهم ، وحاولوا بشتى الوسائل إبعادهم عن الدين ، وإخراجهم من نور الإيمان ، لكنَّ المسلمين ثبتوا على عقيدتهم ، وتمسكوا بدينهم ، ولم يبالوا بتعذيبهم ، بل واستعذبوا الآلام في سبيل التمسك بهذا الدين العظيم الذي هداهم الله إليه ، وصبروا على الأذى ، وأسلموا وجوههم إلى الله ، وكانت النتيجة أن أكرمهم ربهم ، وأظهر دينه ولو كره الكافرون ، ألا إن الكفار قد فعلوا الكثير والكثير من ألوان الأذى ، ولم يكتفوا بعصيانهم وضلالهم ، لكن الله انتقم منهم أشد الانتقام ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، والجزاء من جنس العمل ، وإنا نسأل الله سبحانه أن يقوى إيماننا ويوفقنا إلى أداء واجبنا نحوه ، اللهم آمين .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة السادسة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

ففي هذه الحلقة أعرض آيات من كتاب ربنا ، ومنها نتبين المواقف المخزية للبعض من الناس ، الذين ابتليت بهم البشرية وعانت الكثير من شرهم ، وهم بمواقفهم الفاضحة وسلوكهم المنحرف الشائن ، قد شوهوا وجه الإنسانية ، ولوثوا أديم الأرض بما ينفثون من سموم ومكر وخداع ، وهذا النوع من الناس موجود في كل زمان ومكان ، وقد فضح القرآن الكريم الأساليب الماكرة لهؤلاء الناس ، وعرّاهم وأظهرهم على حقيقتهم .

إن هؤلاء هم المنافقون ، الذين يظهرون ما لا يبطنون ، وهم أولئك الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وهم أولئك الغشاشون المخادعون المتلونون ، الذين قال فيهم القرآن الكريم ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [ البقرة : ٨-٩] ، وأقوالهم كاذبة ، وقلوبهم ملوثة ، وصدورهم تضمر السوء ، ففي الوقت الذي يقولون فيه لرسول الله ﷺ والمؤمنون نحن نؤمن بالله كما تؤمنون ، ونصدق باليوم الآخر كما تصدقون ، ونحن نستظل بظل الإسلام كما تستظلون ، ونحن معكم على طريقتكم ، في الوقت الذي يقولون فيه ذلك تكون قلوبهم فارغة من العقيدة الإيمانية ، خالية من نور الإسلام ، مملوءة بالحقد الأسود على الإسلام وأهله ، وقد انطوت على الشرك وظلام الكفر ، وهم قد تستروا وراء ألسنتهم وأخفوا ما في صدورهم من الشر والمكر .

إن هؤلاء المنافقين قالوا لرسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين ، نحن نؤمن بالله واليوم الآخر كما تؤمنون ، وفي الحقيقة هم ليسوا كذلك ، ولذلك قال ربنا في شأنهم ﴿ **وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ وهم بهذا الأسلوب الماكر الملتوي ، يخادعون الله ورسوله والمؤمنين ، وقد سلكوا هذا المسلك الذي يخالف بواطنهم ، لكي

ينقضوا على الإسلام في الوقت المناسب ، ويقوموا بالدور الشيطاني الخسيس ضد دعوة التوحيد عندما تسنح لهم الفرصة ولكنهم مهما تستروا ، ومهما أخفوا ما في صدورهم ، فإن ربنا مطلع على نواياهم ، عالم بسرائرهم ، وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم ، ولم يدركوا أنهم بهذا التصرف الماكر ستنكشف أمورهم ويتعرضون لوخامة العاقبة وسوء المصير ، ويقودون أنفسهم إلى الهاوية في الدنيا والآخرة ، وتلك القلوب التي يحملونها إنما هي قلوب مريضة ملوثة ، هي مريضة بداء الكفر بطبيعتها ، ملوثة بما استقر فيها من مكر وخداع ، ثم إن الله قد زادهم مرضًا على مرضهم لأنه علم أزلا أنهم سيتمادون في ضلالهم ونفاقهم ، وأنهم لن يجدي معهم نصح ، ولن يفيدهم توجيه ، ولهذا أعد الله لهم العذاب الشديد ، لأنهم قد زوروا الحقائق ولم يكونوا صادقين فيما قالوا ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ** ﴾[ البقرة : ١٠ ]

إن هؤلاء المنافقين مفسدون في الأرض عاصون متمردون ، وهم خطر شديد وبلاء عظيم ، وكما قلبوا الحقيقة وزوروا العقيدة ، فهم كذلك قلبوها حين قالوا إنما نحن مصلحون ، فأين هو إصلاحهم وهم الذين فعلوا ما فعلوا من أجل هدف دنيء وحقير ، وهو الإفساد في الأرض ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾[ البقرة ١١-١٢] .

وإذا قيل لأولئك المنافقين آمنوا كما آمن الناس ، وصدقوا من قرارة أنفسكم كغيركم ممن هداهم الله ، رفضوا هذا النصح وأبوا ، وقالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ونصدق كهؤلاء الذين لا عقول لهم؟ ، وهنا يرد ربنا عليهم ردًا مفحما مبرزًا فساد عقولهم وأقوالهم ، وضعف رأيهم وظلام نفوسهم ، ويبين أنهم هم السفهاء الجهلاء ، الذين لا يعرفون مصلحتهم ، ولا يدركون النافع من الضار ، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ [ البقرة:١٣] .

ثم إنهم حين يتواجدون مع المؤمنين يقولون لهم كذبًا وزورًا ، نحن نؤمن

بربكم ويتظاهرون أمامهم بأعمالهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون ، ويؤدون مثلهم شعائر الإسلام وهم في الحقيقة لا يؤمنون بما يؤدون ، وإنما هو الخداع والمكر والتضليل ، هم يتظاهرون بذلك ويضللون ، وإذا خلوْا إلى شياطينهم ورؤسائهم من الكفار والمنافقين ، قالوا لهم إنا معكم دائما ولسنا مع المؤمنين ، ونحن لا نفعل ما نفعل إلا استهزاء بهؤلاء الذين يتبعون رسول الإسلام ، وها هو ذا كتاب ربنا يبين هذا المكر وذلك الخداع ، ويظهر هؤلاء المنافقين على حقيقتهم حيث قال : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[ البقرة: ١٤] .

وقد خيل لهؤلاء أنهم يستهزئون حقا بالمؤمنين ، ولكنّ الله في الحقيقة يستهزئ بهم ويسخر منهم ، وهو سبحانه يملي لهم ولا يهمل ، وهو يمدهم في طغيانهم يعمهون ، ويتركهم في ضلالهم يتخبطون﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[ البقرة:١٥]

ثم يصورهم ربهم أنهم اشتروا الضلالة بالهدى والكفر بالإيمان والعذاب بالمغفرة وتاجروا في ميدان النفاق والضلال ، وتلك تجارة غير رابحة ، وهذا تصرف يؤدي إلى سوء المصير ، وفي هذا يقول ربنا عن أولئك الذين تاجروا في ميدان النفاق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [ البقرة:١٦].

إن هؤلاء المنافقين قد أدانهم القرآن الكريم ، وبين بشاعة مآلهم ، وفضحهم وسجل عليهم غضب الله ، لأنهم يخططون في الظلام ضد الإسلام والمسلمين ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .. هذا هو موقف أهل النفاق من الإسلام وأهله ، وهو موقف متلون فيه إجرام ، ولهذا استحقوا اللعنة من السماء ، وأعد لهم ربهم الدرك الأسفل من النار ، عقابًا لهم على سلوكهم المعوج وغشهم وعدم وضوحهم ، ولبئس ما كانوا يفعلون ، ولنا عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة السابعة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد كانت الحلقة السابقة عن مواقف المنافقين ضد الإسلام والمسلمين ، ولا يزال الحديث موصولا عن أولئك الذين يتحركون في الظلام ، ويتصفون بأسوأ الصفات وأحقرها ، والآن مع تعريف المنافق بوجه عام وضرب الأمثلة الدالة عليه ، إنه ذلك الذي يظهر مالا يبطن ، كمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، أو يجهر بالخير وهو يضمر الشر ، أو يدعي الحب وهو كاره غير محب .

والنفاق من أخبث الأمراض النفسية وأدلها على الجبن والضعف ، وللمنافقين سمات تدل عليهم وعلامات ترشد إليهم ، وقد بين الرسول ﷺ تلك العلامات في حديث شريف حيث قال : « **أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » .

إنها صفات ذميمة ، وخصال قبيحة ، وهي تدل على لؤم الطباع والخسة والحقارة ، وأول هذه الرذائل الاتصاف بالخيانة ، وهي تشمل التضليل في العقيدة والتزوير فيها ، وتشمل كذلك كل مال اؤتمن عليه الإنسان فلم يؤده إلى صاحبه ، أو سر إؤتمن كذلك عليه فأفشاه بين الناس ، كما أنها تشمل كل عمل وكّل إلى الإنسان أداؤه فلم يؤده كاملا ، وهناك أمثلة أخرى في هذا المجال كثيرة، وهذا الشمول في مدلول الأمانة هو مراد الرسول ﷺ في هذا الحديث فكل ما يجب حفظه من الحقوق المالية والمعنوية يجب على المؤتمن الوفاء بها . وعدم أداء هذه الحقوق خيانة للأمانة تدل على النفاق .

وثاني تلك الخصال الكذب ، وهو نقل الأخبار على غير حقيقتها ، سواء تعلقت هذه الأخبار بالواقع أم بما سيقع ، ولقد بين الرسول ﷺ أن الصدق

منبع الخير حين قال : « **عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**.. ـ ويبين كذلك أن الكذب مصدر الشر حين قال ـ : **وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» .

ثم إن الكذاب الذي اتخذ الكذب عادة له ، هو إنسان فقد جانبا عظيما من مقومات إنسانيته ، وبهذه الصفة الخسيسة أهدر شخصيته وأذابها ، ولو أنه كان شجاعا لما أخفى الحقيقة ، ولو أنه كان أمينا لما زور الأخبار ، ولو أنه كان عفاً لترفّع عن الاختلاق والادعاء الباطل ، لكنه لم يكن شجاعا ولا أمينا ولا عفا ، ومن هنا فقد المقومات الإنسانية ، وكان الكذب علامة على نفاقه ، لأن الدعائم التي يقوم عليها النفاق ، هي الضعف والجبن والذل ، وكلها متحققة في الكذاب الذي يستبيح الكذب ولا يتورع عن قول الزور واختلاق الوقائع .

وثالث تلك الخصال التي تتمثل في المنافق خصلة الغدر ، فهو لا يراعي جانب الوفاء ، ولا يميل إلى المحافظة على العهود ، ومن الواضح أن المؤمن الحقيقي لا يكون غادرًا ، لأن الإيمان تصديق وعمل ، أي توافق بين الباطن الذي انطوى على عقيدته ، والظاهر الذي يجب أن يخضع في أعماله لهذه العقيدة ، ومثل هذا الإيمان ينافي النفاق بطبيعته ، لأن الإيمان صراحة ، والنفاق غموض ، ولأن الإيمان قوة ، والنفاق ضعف ، ولأن الإيمان وفاء بالعهد والنفاق غدر به ونقض له ، والمنافق من طبيعته عدم الوفاء إذا عاهد ، وعدم الوفاء من جانبه ناشئ عن حطته وخسته .

ورابع هذه الخصال الفجور في الخصومة ، فالمنافق لا يتورع عن استغلال كل فرصة لإيذاء خصمه وإلحاق الضرر به ، ثم هو يتمادى في الإيذاء ويشتط فيه فينكر ما لديه من حقوق لخصمه ، وقد يستغل ماله ، وقد يستبيح عرضه ، وكل ذلك بدافع مخاصمته له ، مع جبنه وضعفه عن أن يكون شريفا عادلا في خصومته ، إذ العدل في الخصومة لا يقوى عليه إلا مؤمن يرعى الأمانة ويخشى الله .. تلك هي الصفات القبيحة التي يتصف بها المنافق وهي كما نرى تنطوي

على الشر ، وتهدف إلى إذابة الشخصية الإنسانية ، وهي لا تتفق وروح الإسلام، وذلك الدين الذي يحث على السمو بالنفس الإنسانية . وليس الإسلام عقيدة وعبادة فحسب ولكنه مع هذه وتلك عمل ومعاملة ، ومن حسن المعاملة في منطق الفطرة القويمة عدم الاتصاف بالرذائل ، كالخيانة والكذب والغدر والفجر... إن المنافقين يحملون الأوبئة ، وهم الجراثيم الضارة ، التي تلوث المجتمعات الإنسانية ، والنفاق مرض اجتماعي خبيث ، يهدم المجتمع والفرد ، ويقضي على روح المروءة ، ويخرب الأخلاق ، ويطمس معالم الحقائق، ومن هنا حارب الإسلام النفاق وفضح المنافقين وحذر من الانزلاق في بؤرة هذا المرض الوبيل .

وقد تحدث القرآن الكريم في كثير من آياته عن المنافقين ، وسجل نهايتهم المرة ومآلهم البالغ السوء وهم كما قال القرآن الكريم في الدرك الأسفل من النار، وهم لن يجدوا لهم نصيرًا ينقذهم ، ولا معينا يأخذ بيدهم ، وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل ، وربنا جل شأنه يعلم كل شيء عن خلقه ، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ، وهو سبحانه سيعاقب كل منحرف ، وسيأخذه أخذ عزيز مقتدر في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وإنا لنسأل ربنا أن يبعدنا عن حظيرة النفاق وأهل النفاق ، وأن يجعلنا من المؤمنين حقا .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثامنة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

في كتاب الله تعالى جاء الأمر الرباني بعبادة الله وحده دون سواه ، وقد جاء هذا الأمر الكريم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ولكن الناس لم يكونوا على وتيرة واحدة أمام هذا الأمر ، إذ أن فيهم من تفتح قلبه وأصغى واستجاب وفيهم من كان على العكس من ذلك ، فلا إصغاء ولا استجابة ولا إقبال على من خلق وأنعم ، والآن إلى تشنيف آذاننا بقول ربنا ﷻ : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[ البقرة ٢١-٢٢] .

إنه نداء عام شامل لكل بني آدم ، على اختلاف أجناسهم وتباين مواقعهم وألسنتهم وألوانهم ، نداء للجميع دون استثناء ، يستوي في ذلك الذكر والأنثى، والرئيس والمرءوس والغني والفقير ، وهذا النداء ليس نداءً تقليديا بأن يؤتى بحرف النداء ثم بالمنادى ، وإنما هو نداء فيه تنبيه ولفت للأذهان ، وأن الأمر الذي يعده في غاية الأهمية ، ولذا نجد فيه﴿ **أَيُّهَا** ﴾ التي تفيد هذا المعنى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ** ﴾ وبعد هذا النداء الملفت للذهن والمنبه لأهمية ما بعده ، يأتي الأمر الإلهي من الله لكل الناس ﴿ **ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ** ﴾ وهو أمر من الأعلى وهو الله .. إلى الأدنى وهم خلق الله ، وقد جاء هذا الأمر في إطار العظمة اللائقة بذات ربنا ، وقرن بالأدلة الواضحة ، التي تدل على الأحقية المطلقة لله في طاعة خلقه له وعبادته عبادة لذاته الكريمة دون سواه .. أمر ربنا عباده بعبادته ، وبين لهم أنه وحده دون غيره الذي يستحق أن يعبد ، إذ أنه الخالق القادر النافع الضار ، وهو الموصوف بكل كمال والمنزه عن كل نقص . ومادام الأمر كذلك ، فإنه من

العناد والجهل أن يتجه الإنسان بعبادته لغير الله . والعبادة معناها الخضوع والامتثال والانقياد لله ،وهي تتمثل في أداء ما أوجبه الله ، من أعمال صالحة طيبة مقربة إليه ، كالصلاة الملفوفة بثوب الإخلاص والخشوع لله ، والزكاة الموضوعة في إطار حسن الهدف ونبل القصد وجميل الغاية ، والصوم الذي تصان فيه الأعضاء من الدنس، وينعكس أثره على سلوك الصائم ، بحيث يجعله ذا روح شفافة ، ونفس مطمئنة ، وقلب مشرق ، وكالحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق ، والذي يخرج الإنسان فيه من الذنوب ، ويجعله كيوم ولدته أمه ، وكالصدق الذي هو منجاة من الهلاك ، وكالعدل والأمانة والعفة والوفاء وما سوى ذلك من كريم الشمائل وعظيم الفضائل التي أمر بها ربنا جل وعلا .

وتتمثل العبادة كذلك في ترك كل ما نهى الله عنه من رذائل ضارة ، وأعمال فاسدة ، وأفعال ليس وراءها إلا الشر ، وكذلك الكذب والخيانة والسرقة والزنا والظلم والنفاق ، وغير ذلك من رذائل تحمل الضرر وتؤدي إلى أوخم العواقب في الدنيا والآخرة .

أمر الله تبارك وتعالى الناس جميعًا أينما كانوا وحيثما وجدوا بعبادته ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، بالخوف منه سبحانه والخضوع له دون غيره ، بالاستعانة به والالتجاء إليه والاعتماد عليه ، بوصل القلوب به وقطع الصلة بينها وبين الشياطين ، بالعمل من أجل الآخرة والدنيا ، بعمل كل ما فيه خير ، وبالبعد عما فيه شر .. أمر الله الناس بالعبادة ، وهو سبحانه ليس بحاجة إلى هذه العبادة ، إذ أنه لا تنفعه طاعة الطائعين وعبادة العابدين ، ولا تضره معصية العاصين ولا تمرد المتمردين .. أمر الله عباده بالعبادة لمصلحتهم هم لا لمصلحته سبحانه ، لأنه جل علاه غني وغير مفتقر إلى شيء ، والخلق جميعًا هم المفتقرون إليه سبحانه وتعالى .. وهم في جميع أطوار حياتهم بحاجة ماسة إلى رعايته ونعمه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[ فاطر : ١٥] .

ثم إن عبادة الإنسان لله ، شكر لله على نعمة الخلق والرعاية والفضل الغامر والرزق المتتابع ، وبشكر العبد لربه ، تزداد النعم ويكثر الخير ويكون الرضا من الله ، أما إذا لم يكن هناك شكر من الإنسان لله ، كانت النتيجة سيئة ، وكان

العذاب الشديد من الله ، وصدق سبحانه حيث قال .. ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[ إبراهيم : ٧] .

أمر ربنا خلقه بعبادته ، وقرن هذا الأمر العظيم بالأدلة الواضحة التي تجعله سبحانه مستحقا للعبادة دون سواه ، وجديرا بخضوع جميع عباده له وطاعتهم إياه ، ومن هذه الأدلة التي تدل على فضل الله وقدرته ، أنه جل جلاله خلق بقدرته من أمرهم بعبادته ، وخلق كذلك من قبلهم من الأمم والشعوب من يوم أن خلق الله الدنيا ، ومادام الله هو الذي خلق ، وهو الذي بيده مصائر العباد ، كان ربنا دون منازع هو المؤهل لأن يعبد دون سائر خلقه ، وإذن فاتجاه الإنسان بعبادته إلى مخلوق من مخلوقات الله ـ أيًا كان هذا المخلوق ـ إنما هو اتجاه خاطئ وتصرف غير عادل وخلط في الرأي ، وانحراف بالعقيدة ، مع أن الأمر واضح ولا يحتاج الإنسان ـ لكي يدرك الحقيقة ويعرف ربه ـ إلا أن ينظر إلى نفسه وإلى ما حوله من مخلوقات ويفكر التفكير السليم الذي به يصل إلى الحقيقة ويعي قضية العبادة الوعي الكامل ، وبهذا يدرك أن الخالق هو المعبود بحق ، وأن المخلوقين غير مؤهلين لأن يعبدوا من دون الله ، لأنهم لا يملكون ضرًا ولا نفعا، ولأنهم فقراء إلى ربهم . وهكذا تتبلور الحقيقة أمام الإنسان الحائر ، وبهذه النظرة الواعية يكون الخير والرضا من الله ، في دنيا الإنسان وفي أخراه وإلى اللقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة التاسعة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فلا زلنا مع الأدلة التي اقترنت بالأمر بعبادة الله ، وقد سبق في الحلقة الماضية أن عرفنا أن الله يبين للناس أنه خلق مَنْ أمرهم بعبادته ، والله كذلك خلق مَنْ قبلهم من الآباء والأجداد والأمم والشعوب ، وأنه القادر لا سواه على الخلق والإبداع والنعم ، ولهذا كان سبحانه وحده دون غيره هو الذي يختص بالعبادة والطاعة والخضوع له جل شأنه ، وقد بين ربنا الغاية من عبادته ، والنتيجة المترتبة على امتثال أمره ، بيّنها بقوله تعالى : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ إذن فعبادة الله مفتاح التقوى ، وهي الوسيلة الموصلة لتلك الغاية السامية ، وتقوى الله معناها كما قال الإمام عليّ ﷺ : « **هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنـــزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل** » وبالوصول إلى تلك الدرجة العالية وهي تقوى الله ، يتحقق للإنسان بفضل الله الأمان في الآخرة من نار جهنم ، ويكون ممن سيكرمهم الله ، ويكرّمهم في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبها يعيش الإنسان فترة حياته في دنياه سعيدا بطاعة الله ولا شيء يخيفه في الآخرة ، ولا حزن يلحقه في الدنيا ، وله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ [ يونس : ٦٢-٦٤] .

تلك هي النتيجة الرائعة ، نتيجة امتثال أمر الله ، والتحلي بتقوى الله ، وبعد أن بين ربنا هذه الغاية وتلك النتيجة ، أورد أدلة أخرى تؤكد أنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، حيث قال سبحانه : ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا**

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [ البقرة : ٢٢ ] .

فربنا جل شأنه خلق لنا بقدرته القادرة الأرض وجعلها فراشًا ومهدًا وصيرها ذلولا لنا ، وسخرها بحكمته وإرادته لمنفعتنا ، وها نحن أولاء نعيش فوقها ونتحرك عليها ونشيد منازلنا على ظهرها لتكون المأوى لنا ، ولنجد فيها الراحة ليلا ، والحماية من شر الزمهرير وقسوة الحر ، ومن تلكم الأرض نجد كل ما نحتاج إليه في حياتنا ، فمنها نأخذ غذاء أجسامنا ، ودواء أمراضنا ، وملابس أبداننا ، ومن بحارها نستخرج اللؤلؤ والمرجان والسمك الشهي اللذيذ، وفي تلكم البحار الواسعة الدالة على قدرة الله تسير السفن العملاقة تمخر عباب الماء وتلاطم الأمواج بقوة واندفاع رهيب ، وتنقل من قارة إلى قارة البضائع التجارية والسلع الغذائية ، كما تنقل الناس إلى أماكن مختلفة دون أن يشعروا بشيء من التعب والإرهاق ، ومن أنهار الأرض نشرب المياه العذبة الحلوة المذاق ، ومن عيونها كذلك نستخرج الماء السائغ للشراب ، وعلى المياه كما أخبر ربنا تتوقف الحياة ، وصدق ربنا سبحانه حيث قال ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[ الأنبياء : ٣٠] . ومن بطن تلك الأرض نحصل على النعم الربانية ، من معادن وكنوز وثروات وخامات وغير ذلك من نعم مختلفة لا تعد ولا تحصى ، وأمام أعيننا في كل وقت نرى الزروع المختلفة الأشكال والألوان ، والثمار المتفاوتة في الطعم والألوان الجميلة ، ذات الأصناف المتعددة ، كل هذا وغيره من تلكم الأرض التي تقلنا ، والتي خلقها ربنا وسخرها بما فيها وما عليها لنا ، أليس ذلك الخالق لهذه الأرض الفسيحة التي لا يعلم مقدارها إلا هو سبحانه مستحقا للعبادة دون غيره ، وعبادة غيره مرفوضة مرفوضة عقلا ونظرًا ، أما ربنا فهو الإله الخالق القادر الذي له في كل ما ذرأ آية تدل على أنه لا معبود بحق سواه ، ونحن قد خلقنا لنؤدي في الأرض طيلة حياتنا العبادة لربنا وبالإضافة إلى ذلك نسعى على أرزاقنا،ونقوم بواجبنا نحو أنفسنا وأهلينا وأوطاننا،وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[ الذاريات : ٥٦-٥٨] .

هذه هي الأرض ، إنها هي الدليل على قدرة الله ، وبالتالي علـى اسـتحقاق ربنا بعبادته من جانب خلقه ومن الأدلة القائمة على القدرة الإلهية هذه السماء التي فوقنا والمرفوعة بقدرة ربنا ، المرفوعة بلا عمد ،والمقامة بدون اعتماد على شيء ، إنها القدرة الربانية ، التي أوجدت تلك القبة الزرقاء ، وقد تجلى فيها الإبداع الإلهي ، فهي ممسوكة بقدرة الله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [ فاطر : ٤١] .

إن هذه السموات لتعطينا الدليل الكبير على قدرة ربنا فتلك هي على هذا النسق البديع العظيم ، وتلك هي لا عيب فيها ولا خلل:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[ الملك : ٣-٤] .

ثم هي قد زينت بالكواكب والمصابيح ، ولا يستطيع شيطان أن يصل إليها ، لأن الحرس الرباني يقف بالمرصاد ليكون رجوما للشياطين:﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾[ الملك : ٥] .

وقد حث ربنا على النظر في خلق السموات والأرض ، إذ بالنظر الواعي ، والعقل الباحث ، يصل الإنسان إلى عمق الحقيقة ولب المعرفة ، ويخفق قلبه بالإيمان بالله الذي خلق كل شيء : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [ يونس : ١٠١] ، ولقد أنكر ربنا على أولئك الذين لا ينظرون إلى السماء تلك النظرة : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[ق : ٦] .

ومن أدلة القدرة الربانية إنزال المطر من السماء ، الذي به ينبت الله الزرع ويخرج الثمرات ويوجد الأرزاق والذي به يحيا الإنسان والحيوان والأدلة كثيرة كثيرة في هذا المجال ، وكلها مجتمعة أو منفردة تبرهن على قدرة ربنا وتدل على عظمته ووحدانيته وسبحان القادر العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

# الحلقة الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد عرفنا في الحلقة السابقة كيف أن الله تعالى حين أمر عباده بعبادته قرن هذا الأمر بما يبرهن على استحقاقه لتنفيذ خلقه بما أمر ، وفي هذه الحلقة التي معنا سنعرف موقف الناس من هذا الأمر العظيم .

إن هناك من لم يكترث بالأمر الإلهي العظيم وما بعده من أمر كريم لمصلحة الإنسانية ولم يكن هناك تفاعل وإيجابية ، وإنما كانت السلبية واللامبالاة ، ولم تكن هناك صحوة قلبية ولا تحرك نحو الخير ، وإنما كانت الغفلة هي المسيطرة ، وكان للشيطان الدور الكبير في تلك الغفلة ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، ولكنه تجاوزه على ما هو أفظع وأشنع ، فهؤلاء الذين لم يبالوا بالأمر الإلهي ، عكفوا على كفرهم وعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عمن يعبدونه شيئا، واستمروا في تأليه المخلوقات الضعيفة التي لا تملك شيئا ولا تستطيع أن تدفع عنها ولا عن غيرها الضرر ، ولا تجلب لها ولا لغيرها النفع . إن العجز من سماتها ، وإن النقص ملازم لها ، ولكنها العقول التي لا تعي ، قد اتجهت هذا الاتجاه الخاطئ في العبادة واستمرت عليه مع وضوح الرؤية أمامها ... إن هؤلاء الكفار وقفوا من أمر الله موقف التحدي والعناد ، وقد جسدوا هذا العناد وذلك التحدي في تصرفاتهم السيئة مع سفراء الله الذين حملوا إليهم رسالة السماء ، وفي أقوالهم القبيحة مع هؤلاء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وفي أفعالهم المستهجنة مع من جاءوهم بالهدى والنور ، وكل رسل الله لم يسلموا من أذى الكفار ، يستوي في ذلك أولهم وآخرهم ، فهم بدون استثناء وجدوا موجة عاتية من التكذيب والشر ،وقوبلوا بأسوأ المعاملة من جانب أعدائهم أعداء الله ، وهذا سيدنا محمد ﷺ قد واجهته صعاب وصعاب وقابلته مشقات ومشقات ، وصادفته في مسيرة الدعوة إلى الله ألوان كثيرة من المكر

والتآمر والإيذاء ، فهؤلاء هم الكفار وصفوه بالجنون وبالكذب وبالسحر ، وقد تحدث القرآن الكريم عن افترائهم وادعاءاتهم الباطلة ، ونقل إلينا الصورة القولية الفعلية التي كانوا يمارسونها ضد الإسلام ورسول الإسلام وأتباع دين الإسلام ، كما نقل إلينا التاريخ سوء أعمالهم مع الذين كانوا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولقد عطل هؤلاء الكفار عقولهم ، وحالوا بينها وبين أداء وظيفتها ، وانساقوا وراء التقليد الأعمى للآباء والأجداد ،وارتابوا فيما جاء به رسول الله ﷺ من قبل الله ، وهنا تحداهم القرآن الكريم وأفحمهم وطلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله ،وطلب منهم أن يستعينوا في ذلك بما يشاءون وفي ذلك يقول ربنا في محكم كتابه الكريم:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[ البقرة : ٢٣].

وكيف يتيسر لهم أن يحققوا مثل ذلك ؟ إنهم لأعجز من العجز نفسه ، لأن القرآن كلام الله وليس من كلام البشر ، وهو المعجزة الكبرى التي أكرم الله بها رسوله محمدا ﷺ ، ثم هي معجزة دائمة خالدة ، وقد تعهد ربنا بحفظها إلى أن يرث الأرض ومن عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر : ٩] ، تحداهم الله وقد عجزوا العجز الكامل ووقفوا مبهورين أمام هذا الكلام السماوي الذي انزل على محمد ﷺ ، وكان الأجدر بهم أن يراجعوا أنفسهم ويثوبوا إلى رشدهم ، ويصححوا مسيرة حياتهم ، ويقهروا شياطينهم ، ويتخلصوا من عقدة حب التقليد للآباء والأجداد ، ولكنهم لم يفعلوا وساروا في غيهم وضلالهم ، وانحدروا إلى قاع الكفر ومستنقع الشرك بالله ، وقد بين القرآن لهم أنهم سيعجزون وعليهم أن يطرحوا وراء ظهورهم أردية الشرك ولباس الكفر ، ويتقوا النار ويحفظوا أنفسهم من الوقوع فيها ، وأخبرهم بأن النار أعدت للكافرين الذين لا يؤمنون بمن خلق ، ولا يعبدون من أسدى إليهم فضله وخيره ، وقد هيأها لهم الله لأنهم أهل لها ، ولأنهم عملوا من أجلها ، مع أن الأمور واضحة أمامهم ، والرسل جاءوا إليهم مبشرين ومنذرين ، مبشرين بالجنة من آمن وأطاع ربه وعبد خالقه ، ومنذرين بالنار وعذابها من كفر بالله وبارز خالقه بالمعاصي وفي هذا الشأن يقول القرآن الكريم : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] .حذرهم القرآن الكريم لكنهم لم يتعظوا ، ونبههم إلى سوء العاقبة لكنهم لم يستجيبوا ، وهكذا دارت عليهم الدائرة وحقت عليهم كلمة العذاب ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، إن ربنا لم يترك الإنسان حائرًا في حياته ، وإنما زوده بالعقل والبصر ، وبث أمامه الأدلة في هذا الكون ، وأرسل إليه الرسل وأيدهم بالمعجزات والبراهين ، وهم قد بلغوا الرسالة ، ولم يخونوا الأمانة وبذلوا النصح غاليا لأبناء جنسهم ،ودلوهم على الصراط المستقيم ، وإذن فكل شيء واضح ، وليس هناك لبس ولا غموض ، وبعد ذلك يتحمل الإنسان وزر موقفه ، وفقنا الله إلى ما فيه الخير .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الحادية والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد سجل القرآن الكريم تلكم المواقف المخزية للكفرة الفجرة ، وصور تصرفاتهم مع الله ومع رسل الله في أحط صورة ، وبين القرآن الكريم كذلك ، ما ينتظر هؤلاء الكفار من شديد العذاب وسوء المصير ، وقد تتبعهم كتاب الله في آيات كثيرة من سوره ، وفضحهم وأظهر سوء نواياهم وقبح تصرفاتهم .

أما أولئك الذين استجابوا لله وللرسول حين دُعوا ، فهم أناس عقلاء ، ورجال فطناء ، ينظرون إلى الأمور نظرة الوعي والفهم ، إنهم آمنوا حين عرضت عليهم دعوة الإيمان ، وأقبلوا على نداء الحق بمشاعرهم وأحاسيسهم ، والتفوا حول راية التوحيد بقلوبهم وأجسامهم ، وانتهزوا الفرصة الذهبية حين واتتهم ولم يتركوها لتضيع عليهم أو تفلت منهم ، ودخلوا من باب المعرفة عندما فتح أمامهم ولم يغلقوه حتى لا يغلقوا على أنفسهم سبيل الخير ، إنهم أولئك الذين ملأ الله قلوبهم نورًا وحكمة وهدى ، وهم الذين جعل الله أرواحهم صافية خالية من الشوائب بعيدة عن الأدران ، إنهم أحباب الله وأصفياؤه ، الذين سيستظلون بظل رحمته يوم القيامة ، ويحصلون على أسمى المكافآت من الله الذي يملك كل شيء ، لأنهم أهل الاستقامة ، وأهل الاستقامة هم أهل الخير والرفعة ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[الأحقاف : ١٣-١٤] .

إن هؤلاء المؤمنين بالله ، لم يكونوا كالكفار في عنادهم وجهلهم ، وليسوا مثلهم في صلفهم وغرورهم وهم لم يسلكوا طريقهم ، طريق الشيطان الرجيم ، وإنما هم أناس تلفتوا حولهم فوجدوا نداء الإيمان يرن في آذانهم ، وسمعوا دعوة الحق تعرض عليهم فما كان منهم إلا أن فتحوا لهذه الدعوة قلوبهم ،

واستقبلوها بكل مشاعرهم وعانقت أرواحهم هذه الدعوة ومهدوا الطريق أمامها فكانت النتيجة نبذ العبادة لغير الله ، واحتضان دعوة الحق والإيمان بالله ، وعبادة الله الذي لا معبود بحق سواه ، ولم يقتصر الأمر عند اعتناق العقيدة الصحيحة السليمة ، وإنما أتبعوها بما تفرضه تلك العقيدة من القيام بأداء أعمال الخير والابتعاد عن أعمال الشر ، فهم يؤدون كل ما أوجبه عليهم الله من أعمال صالحة وفي المقابل لا يمارسون أي شيء مما حرمه الله من المعاصي والسيئات ، إنهم قد تحلوا وتخلوا ، تلوا بكل ما هو حلو وجميل في نظر الدين ، وتخلوا عن كل شيء يجلب لهم ولمجتمعهم الشر ، والإيمان بالله عقيدتهم ، وعمل الصالحات من سماتهم ، والابتعاد عن الموبقات من خصالهم ، والفضائل حليتهم ، فهم في العقيدة صادقون ، وهم في سلوكهم صادقون ، وهم في سائر تصرفاتهم صادقون ، ومن اجل هذا الموقف النبيل المشرف ، وتلك المعرفة الإيمانية بالله رب العالمين ، كان هؤلاء المؤمنون أهلا للرحمات الإلهية ، ومحلا للفيوضات الربانية ، وقد جاء القرآن الكريم ليبشرهم بأعظم النتائج وأفضل المكافآت في يوم العرض على الله ـ جاءت هذه البشرى الصادقة في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من السور القرآنية ، ومنها تلك البشرى التي جاءت عقب ذم الكفار والتحدث عن مستقبلهم القاتم ، قال تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾[ البقرة : ٢٥] .إنها أعظم بشرى يسوقها القرآن الكريم ـ الذي هو كلام الله ـ إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴿ **وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾[ الكهف : ٤٦] .

وتلك البشرى حملت النعيم الدائم في جنات الخلد لهؤلاء المؤمنين الصالحين ، ولم تحمل البشرى إليهم شيئا مستهلكا فانيا ، وشتان بين ذا وذاك ، شتان ما بين ما هو مستهلك وما هو دائم ، وربنا وهو صاحب العطاء والكرم ، ومالك كل النعم لا يبشر إلا بما يليق بمقام عطائه وكرمه ، ثم إن هذه البشرى الربانية ، قد

جاءت بطريق التأكيد .. ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[ البقرة : ٢٥] .

وقد أخبر القرآن الكريم بأن هؤلاء المؤمنين في تلكم الجنات أزواجًا مطهرة ، مطهرة من الحيض والنفاس والغائط والبول ، ثم هم سيتمتعون فيها بالثمار الشهية التي أكلوا مثلها في الدنيا ، ولكنها تختلف كل الاختلاف في الطعم ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[ البقرة : ٢٥] .

ألا إن ديننا قد وعد أحبابه المؤمنين الصالحين بألوان النعيم في دار الخلود ، ووعد الله لا يتخلف ، ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ؟[ التوبة : ١١١] .وعد الله لا يخلف الله وعده ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[ النساء : ٨٧] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[ النساء : ١٢٢] .

فهنيئا لمن وقفوا من دعوة الإيمان موقف الاستجابة والخير ، هنيئا لهم بما أعده الله لهم من مكافآت سخية ومنح كريمة ، جعلنا الله منهم وأثابنا مثلهم وأكرمنا معهم .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الحلقة الثانية والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد مرت بنا مواقف الكفار ومواقف المؤمنين من رسالة التوحيد ودعوة الإيمان ، ومرت بنا كذلك النتيجة المترتبة على مواقف كل من الفريقين ،وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ **مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾[ فصلت : ٤٦] .

وفي تلك الحلقة التي معنا ، سنعيش في رحاب ذلكم الموقف العظيم من تكريم السماء لأبينا آدم عليه السلام ، ولم يكن تكريم السماء خاصًا بآدم وحده ، وإنما امتد ليشمل ذريته جميعًا ، وهذا هو التكريم العام الشامل من الله لبني آدم قد جاءت به سورة الإسراء في قول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[ الإسراء : ٧٠]

إنه التكريم الواضح من الله ، وإنه الفضل العظيم من رب العزة جل شأنه لآدم عليه السلام وذريته ثم إن ربنا عز وجل جسّد هذا التكريم أمام ملائكته حيث قال لهم : ﴿ **إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[البقرة: ٣٠] ، إنه قمة التكريم من الله أن يكون مخلوق من مخلوقاته خليفة عنه ، قال ربنا هذا القول لمن ؟ قاله سبحانه للملائكة الذين خلقوا من النور ، ولم يكن للمادة أي تمثيل في تكوينهم ، قال لأولئك الذين يعبدون ربهم ولا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون ، إن ربنا لم يختر أحدا من ملائكته وهم في القمة من الصفاء والنقاء والعبودية الحقيقية لله ، لم يختر أحدا منهم ليكون خليفة له في أرضه ، وإنما اختار آدم عليه السلام لهذا المنصب الرفيع ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على منتهى التكريم الإلهي والتقدير

الرباني والتشريف العظيم لأبينا آدم عليه السلام وكذلك لذريته ، ثم إن هـذا الاختيـار الرباني مبني على حكمة إلهية ، فهو ليس ناشئا من فـراغ ، ولم يكـن عاريـا مـن الحكمة ـ وحاشا لله أن يتخذ شيئا دون بنائه على الحكمة ـ وبعد أن أخـبر ربنـا الملائكة بأنه جاعل آدم في الأرض خليفة ، أخـذت الدهـشة الملائكـة ، ووقفـوا موقف الاستغراب ، وقالوا لـربهم متعجبين : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [ البقرة : ٣٠ ] .

فالملائكة كانوا بما فيهم من مؤهلات الصفاء والروحانية ، وبخلوصهم من شوائب المادة كانوا مع هذه المزايا يرون أنهم المؤهلون للخلافة في الأرض ، لكنهم فوجئوا باختيار غيرهم ، وعللوا عدم رضاهم عن خلافة الإنسان ، بأن فيه جانبا ماديا ، وهذا الجانب المادي يجعله في صورة أدنى مما هو مؤهل له من خلافته ، فهو نتيجة لوجود هذا الجانب المظلم فيه ، لديه الاستعداد للفساد في الأرض ، وتوجد عنده النزعة لسفك الدماء ، من أجل هذا فالإنسان ليس كفؤا لملء هذا المنصب الذي اختير له ، وكان الأجدر أن يكون الخليفة من الملائكة لأنهم خلو من الجانب المادي وهم قد خلقوا بعيدين عن آثار هذا الجانب ، فلا فساد ولا سفك دماء ، ولا عصيان ولا تمرد على الله ، وإنما تسبيح وعبادة لله ، وتقديس للخالق وتنزيه له ، وصفاء روحي دون شوائب .

هذا هو موقف الملائكة ، ولكن ربنا الذي لا يصدر أمرًا دون حكمة ، والذي يعلم كل شيء ، والذي هو فعال لما يريد أخبر الملائكة بأنه يعلم ما لا يعلمون ، وأنه لا يفعل شيئا إلا إذا كانت هناك حكمة ، وبقدرة الله سبحانه ، ومن بحار علمه التي لا تنضب ، تعلم آدم الأسماء كلها ، أسماء كل شيء ، تعلم ما لم تتعلمه الملائكة ، وعلم ما لم تعرفه من هذه الأسماء المختلفة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [ البقرة : ٣١] .

إذن فآدم قد فاق الملائكة بقدرة الله في العلم ، فهو يعلم أسماء المسميات صغيرها وكبيرها ، وهو يعرف اسم كل شيء ، كالبعير والشاة والغراب وكل ما له اسم ، أما الملائكة فهي لا تعلم شيئا عن ذلك ، ومن هنا ندرك قيمة العلم ،

وأنه يكسب صاحبه الشرف والرفعة ، العلم النافع لا العلم المدمر العلم الذي ينشد الخير لا الشر ، علم ربنا آدم الأسماء كلها والملائكة لا علم عندها بها ، وقد طلب ربنا أن ينبئوه بأسماء المسميات ، فقالت الملائكة لربها بلسان الإقرار بالعجز عن ذلك : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [ البقرة : ٣٢] ، إنه إقرار صريح بالعجز من جانب الملائكة ، وهو يحمل الاعتراف الكامل بأن الله هو العالم بكل شيء ، والقادر على كل شيء ، وأنه قد علم آدم ما علمه بقدرته ، وأنهم لم يصلوا إلى علم آدم لأنهم لم يعلّموا ما عُلِّم ـ وهنا بعد الوصول إلى تلك المرحلة ـ قال ربنا لآدم عليه السلام أن ينبئهم بأسمائهم ، وهنا امتثل آدم لأمر ربه ، وأخذ يعدد لهم الأسماء ويخبر الملائكة عن أسمائها ويبين لهم ما خفي منها ، وذلك بقدرة الله الذي علّمه ما لم يكن يعلم ، وبعد أن أنبأ آدم الملائكة بأسمائهم وأسماء خلق الله سواهم ، قال ربنا للملائكة بعدئذ : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[ البقرة : ٣٣] .

سبحانك ربي سبحانك ، لقد اتصفت بكل كمال ، وتنزهت عن كل نقص ، ومما اتصفت به من صفات الكمال صفة العلم ، وهو علم غير محدود ، ولا مقدر بكمية معينة ، وإنما هو علم مطلق غير مقيد وغير محدود وغير مقدر ، علم محيط بكل شيء ، بكل ما في السموات وبكل ما في الأرض ، بما في داخل الإنسان وبم استقر في السرائر ، علم بالماضي كله ، وبالحاضر كله ، وبالمستقبل كله ، علم يتصف بالإحاطة الشاملة العامة ، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[ آل عمران : ٥] . ، وحيث قال : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [ غافر : ٩] ، وحيث قال : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [ يونس : ٦١ ]

وإلى لقاء في حلقة قادمة إن شاء الله

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

## الحلقة الثالثة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

**أيها الإخوة والأخوات**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد.

فقد عشنا في الحلقة السابقة مع تكريم الله للإنسان ، واختياره خليفة له في أرضه دون سواه من الملائكة ، وعرفنا موقف الملائكة من هذا الاختيار، وكيف أنهم يسبحون ويقدسون ويعبدون ولا يعصون ، وان الإنسان سيفسد ويسفك الدماء ، وأنهم من أجل ما امتازوا به من خصائص كانوا أولى بتلك الخلافة ، لكن ربنا بيّن للملائكة أنه يعلم ما لا يعلمون وأنه لا يقدر شيئا إلا لحكمة ، وقد علم ربنا آدم من الأسماء والمعارف ما لا تعلمه الملائكة ـ وأدركت الملائكة أن آدم عليه السلام جدير بذلك الاختيار وانه وإن كان فيه جانب مادي أرضي ، لكن الإنسان قد يكون عند ربه خيرا من الملائكة ، وذلك إذا غلب جانب الروح على جانب المادة ، إنه عندئذ يتبوأ أسمى مكانة عند الله ، لأنه كُوِّن من عنصرين متضادين ، وجسمه يعتبر منطقة صراع بين هذين العنصرين ، أما الملائكة فليس في تركيبهم سوى عنصر واحد وهو الروح ، وقد خلت أجسامهم من الصراع لكن الإنسان كان كذلك ، وزود بالعقل وقيل له ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[ الشمس : ٩-١٠].وقيل له كذلك: ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ** ﴾[ الزمر : ٢٢] . وقيل له : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ** ﴾[الأعلى:١٤] وغير ذلك من الآيات التي توقظ فيه الضمير ، وتزكي النفس وتسمو بالروح ،كان الإنسان كذلك مركبا من العنصرين السابق ذكرهما، ليدخل المعركة بعقله وشهوته ، وإذا انتصر العقل على الشهوة كان ذلك إنقاذا للروح ، وكان الإنسان عندئذ جديرًا بأن ينال من ربه أعظم ما يتمناه من خير ، لأنه جاهد وناضل ، وبذل وانتصر ، وكان كذلك خيرا من الملائكة أما إذا كانت الشهوة هي المنتصرة في الميدان وكانت لها الغلبة على الروح ، فإن الإنسان في

هذه الحال يكون عند الله شرًا من البهائم ، ومن هنا فالإنسان الجدير بالخلافة الأرضية ، هو ذاك الذي سما بعقله وبروحه ، وأخضع شهوته ووضعها تحت تصرف العقل ، هو ذلك الذي كان من عباد الله المخلصين . الذين يحبهم ويحبونه ، وآدم عليه السلام كان كذلك ، وفي ذريته من هو كذلك ، وأمامنا الرسول الحبيب محمد ﷺ ، إنه القدوة والقمة ، وإنه العظيم في شمائله ، الفاضل في فضائله ، ومن هنا كان التكريم الرباني ، والتقدير الإلهي ، وكان الاختيار من السماء للإنسان ليكون خليفة الله في أرض الله ، ولكي يظهر ربنا للملائكة سمو قيمة الإنسان في صورة عملية ، ولكي يبرز عظمته أمام ملائكته ـ أمرهم بالسجود لآدم ، أمرهم أن يسجدوا لهذا الإنسان الذي خلق من المادة والروح ، فماذا كان موقف الملائكة ؟ إنه موقف الامتثال المطلق والإذعان الكامل ، وكان السجود لآدم ، سجود تعظيم لا عبادة سجود تكريم لهذا الإنسان المكرم من قبل خالقه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾[ البقرة :٣٤] . والملائكة كما قال ربنا عنهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[ التحريم :٦] فهم قد خلقوا على هذا النمط من السلوك الذاتي ، ولا اتجاه للعصيان من جانبهم ، ولا انحراف عن خط الطاعة لربهم ، ولا مجال لتسلط الشيطان عليهم .. هم مع هذا السمو الذاتي ومع تلك الفضائل والسمات ، ومع ذلك الصفاء والإشراق ، ومع هذا التكوين الشفاف ، مع هذا كله، أمروا من الله بأن يسجدوا لإنسان يختلف عنهم في التكوين ، وما كان منهم إلا الطاعة ﴿ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ أمر أعقبه التنفيذ وعدم التباطؤ وطلب من الأعلى وهو الله فكانت النتيجة بهذا الطلب الكريم الإسراع من جانب من لا يعصون الله إلى امتثال أمر الله .

هذا هو موقف الملائكة وهو موقف كريم وعظيم يدل على شرفهم وسمو مكانتهم ـ وفي المقابل كان موقف إبليس اللعين ، لقد أمره ربه بالسجود لآدم كما أمر الملائكة ، فما كان من إبليس إلا التمرد ولم يطع ربه الذي خلقه ، وأبى واستكبر، ولم يقبل أن يسجد لآدم ، معللاً ذلك بأنه خير منه ، إنه موقف الخسة واللؤم ، والاستعلاء والكفر ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[ البقرة : ٣٤] .

الملائكة تسجد لآدم وتمتثل أمر ربها ، وإبليس يعاند ربه ويتمرد ويأبى أن يسجد ، إنهما موقفان متغايران ، وهما يعكسان على كل من الفريقين النتيجة ، نتيجة الرضا والغضب ، نتيجة الرضا من الله لمن أطاع وامتثل ، ونتيجة الغضب من الله على من عصى ولم يطع - والملائكة هم محل الرضا من الله لامتثالهم ، وإبليس محل الغضب والعذاب من الله لعصيانه وتمرده .

هذا هو الإنسان سجدت له الملائكة فكان بهذا السجود محل تكريم وتقدير، وهذا هو إبليس اللعين ، إنه لم يطع ربه ولم يسجد كما أمر ، وهذا يدل على أن إبليس حاقد على الإنسان ، وعلى أنه يعمل بكل الوسائل على تحطيم الإنسان، ولنا عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

*والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته*

* * *

# الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه سبحانه وتعالى أستعين .. وبعد :

فتلك هي الحلقة الأولى من سلسلة الحلقات التي أعددتها لمكتبة الإيمان بالمنصورة ، لإخراجها إلى حيز الوجود ، وهي تستمد ما جاء فيها من كتاب الله تبارك وتعالى ، وتعيش مع التنزيل القرآني ، الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين، والذي يقول ربنا فيه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[ الإسراء : ٨٢] الذي هو الدستور السماوي العظيم ، الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام من السماء وبأمر من الله ﷻ ليبلغه إلى الرسول الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهو بالتالي يبلغه إلى أهل الأرض ، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن ذلك في قول الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[ الشعراء : ١٩٣-١٩٥] . ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ المائدة : ٦٧] .

وهذه الحلقات تستمد بركتها من كتاب الله تبارك وتعالى ، وهي تعيش مع بعض آيات القرآن الكريم ، ولذا فكل حلقة من هذه السلسلة مبنية على ما جاء في كتاب الله تعالى من آيات ، وحولها يكون الحديث في أسلوب سهل غير معقد ، وبطريقة لا تأنف منها العقول ولا تزدريها النفوس ولا تمجها الآذان ، وبمشيئة الله تعالى وعونه وتوجيهه سأقوم تباعًا بتقديم هذه الحلقات ، وسأقدمها بمشيئته جل شانه إلى القراء الكرام في صورة تدخل السرور على قلوبهم ، بما تحمله من غذاء روحي على موائد القرآن الكريم ، الذي فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا ، وما أحسن موائد الرحمن ، التي هي من صنعه جل شأنه ، وهي من لدن الله تعالى الذي خلق فأبدع ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[ النمل : ٨٨] وهل هناك شيء يضارع ما خلق الله ؟ إن هذا لمن المستحيل ، وشتان بين صنع الإنسان وصنع الله ، والله على كل شيء قدير.

**أخي القارئ** : إذا كانت هناك ملاحظات لديك ، فأنا أرحب بها كل الترحيب وأتقبلها بقلب مفتوح ، ولسان شاكر لك ، ورضا كامل بما صنعت ، والله أسأل أن أكون عند حسن الظن ، وأن تنال هذه الحلقات التي ستصدر تباعًا القبول الحسن من الإخوة القراء ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، ومنه جلّ شأنه أستمد العون ، وأرجو التوفيق في دنياي والرضا في أخراي ، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

**حامد على زقزوق**

# الفهرس




رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٦٢١